أصحابهم وأتباعهم(١) .

وتوجه كل هؤلاء من نصيبين إلى نهر الفرات فاجتازوه من عند جسر الرقة كعادتهم، ثم انقسموا قسمين: سار أولهما إلى حمص ثم إلى بقاع بعلبك، وسار ثانيهما حتى وصل إلى غوطة دمشق، وهم ينهبون ويأسرون ويقتلون، فانجفل الناس من بين أيديهم ، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضمّ عساكره إليه بعدما كانت قد وصلت إلى غزة(٢) متأهبة للمشاركة في غزو مصر.

ولما كانت دمشق من القوة بما جعلهم عاجزين عن اقتحامها، فقد مضى الخوازرميون في سيرهم إلى الجليل، بعد أن تجاوزوا طبرية التي استولوا عليها، ثم اتجهوا صوب الجنوب نحو بيت المقدس بعد أن اجتازوا نابلس(٣) .

ثالثاً : الصليبيون وسقوط القدس سنة ٦٤٢هـ

بلغ الخوف من بأس الخوارزميين وقسوتهم مبلغه حتى إن الناصر داود سارع بالعودة إلى الكرك فاعتصم به، على حين بادر عدد كبير من الفرنج الذين كانوا بالقدس بعد استيلائهم عليه بالهرب إلى عكا(٤) .

يصف بعض المؤرخين المحدثين أحوال مدينة القدس قبل الهجوم

---

(١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٢، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٣، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٧١.

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤١، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣ ٣، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٠.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩١ – ٣٩٢، انتوني بردج: تريخ الحروب الصليبية ص٢٦٢، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ص٢٤٦ .

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٣، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٣ .

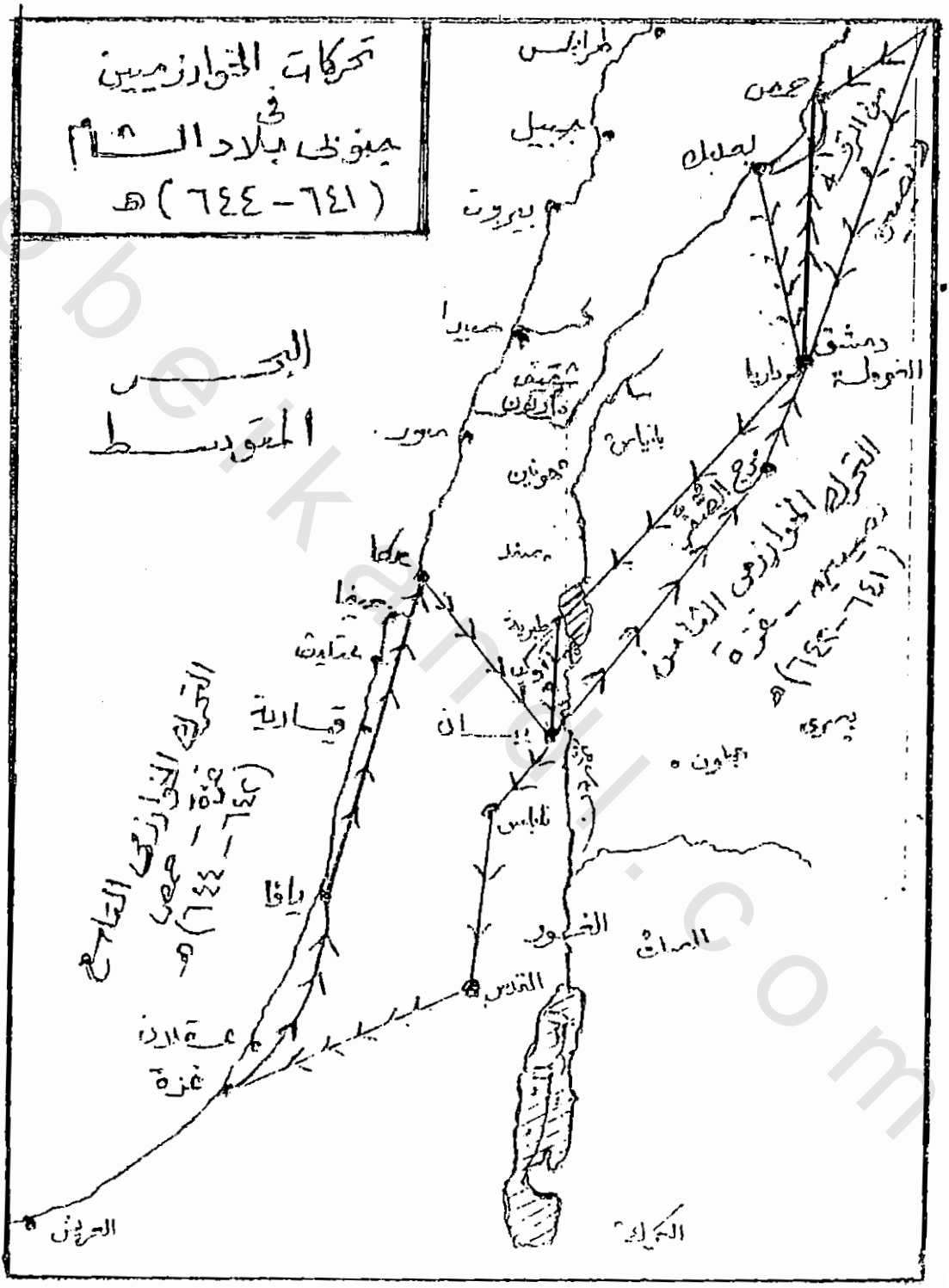
تحركات الخوارزميين
في
جنوبي بلاد الشام
(٦٤١ - ٦٤٤) هـ
البحر
المتوسط
طرابلس
جبيل
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
عسقلان
قيسارية
يافا
عقارن
غزة
العريش
نابلس
القدس
الخليل
بيسان
جلعاد
بحيرة
طبرية
بانياس
مرج الصفر
دمشق
الغوطة
حمص
بعلبك
تدمر
الرقة
التحرك الخوارزمي الثاني
(٦٤٣ - ٦٤٤) هـ
التحرك الخوارزمي الثالث
(٦٤١ - ٦٤٣) هـ

obeikandl.com

الخوارزمي عليها على النحو التالي: «وكانت بيت المقدس عندئذٍ أشبه بمدينة مفتوحة ضعيفة التحصين، ليس فيها ملك أو زعيم صليبي يدافع عنها، فاستنجد من فيها من الصليبيين بأمير أنطاكية وطرابلس بوهيموند الخامس، وملك قبرص هنري الأول فضلاً عن الصليبيين في عكا وحلفائهم ملوك حمص ودمشق والأردن، ولكن أحداً من هذه الأطراف لم يلب النداء، إذ كان الصليبيون في الشام وقبرص في شغل بمشاكلهم الخاصة بعد أن انحلت أوضاعهم، في حين كان ملكا دمشق وحمص – وهم من حلفاء الصليبيين – لا يجسران على التدخل في ذلك الموقف لحماية مصالح الصليبيين في بيت المقدس مما يعرضهما لنقمة الرأى العام في البلدان الإسلامية»(١).

وقد يقبل المرء من هذا الرأى القول بأن بوهميند الخامس أمير أنطاكية وطرابلس وكذلك هنري الأول ملك قبرص كانا مشغولين بمشاكلهما الخاصة، أما الصليبيون في عكا فقد سبق الإشارة إلى مدى سعادتهم الغامرة في الرسالة التي كتبها مقدم الداوية إلى أوربا في أواخر سنة ١٢٤٣م بتحقيق النجاح من خلال المفاوضات في الإيقاع بحكام المسلمين في مصر والشام حتى إنهم نالوا عرضاً واحداً في نفس الوقت من خصمين لدودين هما الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، والصالح إسماعيل صاحب دمشق بتسليم المزارات الإسلامية في الحرم الشريف للصليبيين كما سبق القول، وعليه فلم يكن الصليبيون في عكا بمنأى عما يجرى في القدس، وقد قام كل من الداوية والاسبتارية على إعادة تحصين المدينة المقدسة(٢) في الفترة ما بين أواخر سنة ١٢٤٣م إلى الحادي عشر من يوليه سنة ١٢٤٤م وهي مدة تزيد

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٥ نقلاً عن
Richard : le Rayaume latin de jerusalem P 260 (paris - 1953)
وقد نقلت عفاف صبره : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص ٢٩١ عن الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بالنص دون تدخل.

(٢) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٠، ٣٩٢.

على ستة أشهر أي أنها مدة كافية لإعادة تحصين المدينة وبناء استحكاماتها.

ويبدو أن المشكلة الحقيقية التي واجهت الصليبيين في عكا والقدس قد كمنت في عنصر المفاجأة السريعة من قبل الخوارزميين إذ لم يكن أحد يتوقع أن يباغتوا القدس، لأنهم دأبوا على إظهار طاعتهم للصالح نجم الدين الذي كان قد بذل بدوره للصليبيين تسليمهم الحيز المخصص للمسلمين في القدس(١) مقابل عدم انضمامهم إلى خصومه من الشاميين وعلى رأسهم عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق.

ويؤكد ذلك أن المهمة الأولى التي كلف الصالح نجم الدين أيوب أتباعه الخوارزميين بها إنما كانت تتركز في محاصرة دمشق(٢) فلما تحركوا فعلاً من الشرق صوب دمشق، سارع الصالح إسماعيل إلى استدعاء عسكره من غزة، وإحكام سد أبواب دمشق في وجه الخوارزميين كما سبق القول، فاندفع هؤلاء بقوة إلى بيت المقدس فباغتوا من كان بها من الصليبيين.

أما القول بأن مدينة القدس كانت بلا ملك أو زعيم صليبي يدافع عنها فإنه لايتفق مع الواقع التاريخي «إذ إن حاكم المدينة الفرنجي قد لقى مصرعه عند قيامه بهجوم مضاد من القلعة، وهلك معه مقدم الاسبتارية الذي قدم إلى المدينة المقدسة برفقة مقدم الداوية والبطريرك اللاتيني لبيت المقدس روبرت الذي تَمَّ انتخابه منذ زمن قريب، وكانوا قد أدركوا ثلاثتهم معاً مدى مايحيق بالفرنج هناك من لخطر، فعجلوا بالمسير إلى المدينة المقدسة، لتعزيز الحامية المرابطة في الاستحكامات التي فرغ وقتئذٍ الداوية من عمارتها(٤)،

---

(١) هانس ابرهارد ماير : تاريخ الحروب الصليبية ص٣٧٠.

(٢) النويري : نهاية الأرب جـ٢ ص٣٠٣، الذهبي : العبر جـ٥ ص١٧١، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٣.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٢.

(٤) المرجع السابق نفسه.

وكان من ضمن القتلى أيضاً بطريرك الروم[١] وهو رئيس ديني شرقي كان يقيم في دير الأرمن المعروف بدير القديس يعقوب حيث أجهز الخوارزميون هناك على الرهبان والراهبات[٢].

أما القول بأن ملكا دمشق وحمص – وهم من حلفاء الصليبيين – كانا لايجسران على التدخل في ذلك الموقف لحماية الصليبيين في بيت المقدس مما يعرضهما لنقمة الرأى العام في البلدان الإسلامية، فهو قول لايعكس حقيقة موقف أي من الملكين، فالصالح إسماعيل كان قد كاتب الفرنج سنة ٦٣٨هـ واستنصر بهم، واتفق معهم على معاضدته ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب، وأعطاهم على ذلك قلعة صفد وبلادها وقلعة الشقيف أرنون وبلادها، ومناصفة صيدا، وجبل عامله، وغير ذلك[٣] ومكنهم من دخول دمشق لابتياع السلاح، فشق ذلك على المسلمين، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي الناس بحرمة بيع السلاح للفرنج، وتوقف عن الدعاءله على منبر الجامع في دمشق، ثم غادرها الشيخ عز الدين متوجهاً إلى مصر وكان يؤيده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمر بن الحاجب المالكي[٤].

وأما الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص فإنه لم يتحرج في التوجه إلى عكا سنة ٦٤١هـ حيث نزل هناك في ضيافة فرسان الداوية، وتعهد هناك لهم بأن يكون لهم نصيب في الديار المصرية إن هم شاركوا التحالف الشامي في

---

(١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ٣٢.

(٢) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٢.

(٣) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣١، النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٢٧٨، المقريزي : السلوك جـ١ ق٢ ص٣٠٣.

(٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٠، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٥ ص١٨٩، وانظر أيضاً دائرة المعارف تركي إسلامي جـ٤ ص١٩٤ (باللغة الفارسية).

الهجوم عليها[١] .

وفي تقديري أن هذا الرأى الذي روّج له المستشرقون الأوربيون أولاً يهدف – على الإجمال – إلى التهوين من قيمة النصر الذي حققه الخوارزميون في القدس، وبالتالي تهوين أثر عودة القدس إلى المسلمين، وهو أمر خطير له دلالته الدينية والإنسانية لدى المسلمين جميعاً.

أياً كان الأمر فقد وصل الخوارزميون إلى بيت المقدس في الحادي عشر من يوليه سنة ١٢٤٤م الموافق للثالث من صفر سنة ٦٤٢هـ[٢] ووقع القتال في الشوارع، وظلت الحامية الصليبية على مقاومتها فترة من الوقت، لكنها اضطرت في النهاية نتيجة لعدم قدوم نجدات صليبية مؤثرة إليها من جهة واشتداد الضغط الخوارزمي عليها من جهة أخرى، إلى طلب الغوث من الملك الناصر داود صاحب الكرك، وهو أقرب الحلفاء المسلمين مكاناً إلى بيت المقدس، غير أن الناصر الذى لم يكن يميل إلى المسيحيين كثيراً، كما كان يكره الحاجة التي تعوزه إلى التحالف معهم، واكتفى بأن أرسل من العساكر مَنْ حمل الخوارزميين على أن يبذلوا للحامية الصليبية الأمان بالمسير إلى الساحل

---

(١) ابن العميد : تاريخ الأيوبيين ص ٣٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٣، أبو الفدا المختصر جـ٣ ص١٧٢، وانظر أيضاً حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة التيوتون ص٢٤٧ هامش (٥٩) وهو يذكر أن مسألة ذهاب الملك المنصور إبراهيم إلى عكا ونزوله في ضيافة فرسان الداوية «لم ترد إلا عند ابن الفرات (ت/٨٠٧هـ) وحده دون بقية المؤرخين المسلمين»!!

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٥ أنتوني بردج: تاريخ الحروب الصليبية ص٢٦٢، حسن عبد الوهاب تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ص٢٤٦. وهو يذكر أن حصار الخوارزميين لبيت المقدس قد بدأ في الحادي والعشرين من يوليه ١٢٤٤م الموافق للثالث عشر من صفر سنة ٦٤٢هـ، دون أن يفسر السبب في توقف الخوارزميين عشرة أيام كاملة على أبواب القدس قبل أن يشرعوا في حصارها !!

إذا سلموا القلعة، ثم تخلى بعد ذلك عما ينتظر هذه الحامية من مصير(١).

ويظهر أن الناصر داود كان راضياً في أعماق نفسه عما فعله الخوارزميون بالصليبيين في القدس، فلعل الظروف الخاصة التي أحاطت به قد أملت عليه الرغبة في التعاطف معهم، فأمه كانت خوارزمية الأصل(٢) وأبوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق (ت٦٢٤هـ) كان مؤيداً للسلطان الخوارزمي الأخير جلال الدين منكبرتي حتى إنه كان يقسم برأسه في مجالسه ويركب بسنجقه(٣) وكذلك زوّجه ابنته الأميرة دارمرشد(٤) وهي أخت الناصر داود بطبيعة الحال.

ومن جانب آخر كان الناصر داود يدرك أن التحالف مع الصليبيين سيجلب عليه غضب المسلمين الذين أثنوا عليه من قبل عندما حرّره من الصليبيين في يوم الاثنين التاسع من جمادى الأولى سنة ٦٣٧هـ، فامتدحه آنذاك الشاعر جمال بن مطروح بالأبيات التالية :

المسجد الأقصى له عادة
سارت فصارت مثتلاً سائرا

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٢، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٣-١٨٤. وانظر أيضاً حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ص٢٤٦ فهو يذكر الآتي «وعلى الرغم من استنجاد المدينة بالصليبيين في عكا إلا أنه لم تصل إليهم سوى حامية صغيرة سرعان ما عادت أدراجها بعد أن علمت بتحطيم أسوار المدينة» ولم يفسر السبب في تأخر وصول هذه الحملة أو صغر حجمها بالقياس لأهمية مدينة بيت المقدس عند الصليبيين.

(٢) ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص٣٣٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٤.

(٣) ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ص٩٦، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٤٧ - ١٤٨، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٢٨١.

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٠٨ - ٧٠٩، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٢٣١.

إذا غـــدا بالكفـــر مـــســـتـــوطناً

أن يـبـــــعـث الـلـه لـه نـاصـــــرا

فـنـاصـــــر طـهـــــره أولاً

ونـاصـــــر طـهـــــره آخـــــرا

ولعل الناصر داود أراد أن يصحح الخطأ الذي وقع فيه سنة ٦٤١هـ أي في العام الماضي حين أقدم – خوفاً من الصالح نجم الدين أيوب – على موافقة الصالح إسماعيل صاحب دمشق في التنازل للصليبيين عن المزارات الإسلامية في القدس وكذلك طبرية وعسقلان كما سبق القول، وهو خطأ سياسي نجم عن سوء التدبير وعدم التوفيق اللذين لازما الناصر داود كثيراً.

ويصف المؤرخ المعاصر ابن واصل ما حدث في القدس فيقول: «وهجمت الخوارزمية على القدس، وبذلوا السيف فيمن كان فيه من النصارى، ولم يبقوا على أحد منهم، وسبوا ذراريهم ونساءهم، ودخلوا كنيستهم المعروفة بقمامة، فهدموا المقبرة التي تعتقد النصارى أنها مقبرة المسيح عليه السلام، ونبشوا قبور ملوك الفرنج التي بالقمامة، وأحرقوا عظام الموتى»(١).

ويصف ستيفن رنسيمان نفس الموقف مع تفاصيل أكثر فيقول: وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٢٤٤م الموافق للسادس عشر من ربيع الأول سنة ٦٤٢هـ غادر المدينة حوالي ستة آلاف من المسيحيين من الرجال والنساء والأطفال وتركوها للخوارزمية، وبينما كان هؤلاء المسيحيون يتحركون على الطريق إلى يافا، تطلعت جماعة منهم إلى الوراء فشاهدت أعلام الفرنج ترفرف على أبراج المدينة، وإذ اعتقدوا أن نجدة قد وصلت بوسيلة من الوسائل أصرَّ عدد كبير منهم على الرجوع إلى المدينة، غير أنهم وقعوا في كمين تحت أسوارها، فهلك

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٧، ونقل عنه المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٣.

منهم نحو ألفين: ومن بقى على قيد الحياة تعرض لهجمات قطاع الطرق من العرب (البدو) في أثناء سيرهم إلى البحر، فلم يصل إلى يافا منهم سوى ثلثمائة رجل(١) .

وتثير الرواية السابقة استفسارين كبيرين :

الأول : لماذا مكث الخوارزميون في القدس وحولها في الفترة ما بين بداية الهجوم في ١١ يوليه سنة ١٢٤٤م إلى ٢٣ أغسطس من نفس السنة وهي فترة تزيد على أربعين يوماً ؟

أكان ذلك نتيجة للمقاومة التي أبداها المدافعون عن القدس؟ أم كان استجابة لإيعاز من الناصر داود ؟ أم انتظاراً لإشارة جديدة واضحة من الصالح نجم الدين أيوب ؟ أم راق لهم المكان باعتباره موقعاً جديداً بعيداً عن خطر المغول الذي كان قد اقترب كثيراً من شمالي بلاد الجزيرة؟

وأغلب الظن أن هذه الأسباب جميعاً هي التي فرضت على الخوارزميين البقاءفي القدس حتى تتكشف حقيقة الأمر، ويتكامل وصول جموعهم من الشرق أي من بلاد الجزيرة .

الثاني : لماذا أبقى الخوارزميون – على خلاف عادتهم – على هذا العدد الكبير من الصليبيين وسمحوا لهم بالخروج من القدس إلى يافا ؟

أكان ذلك خوفاً من رد فعل صليبي يأتي من قبل عكا الصليبية؟ أم لوناً من الرأفة المؤقتة القابعة في أعماقهم تحركت على حين غفلة منهم؟ أم ثقة في

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٢، سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٥، تقول د. عفاف صبرة في كتابها التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص٢٩٢ « تعقب الخوارزمية الفرنج الفارين إلى غزة » ، وليس هذا صحيحاً لأن هؤلاء فروا إلى يافا كما ذكرت في المتن، ولم يكن في غزة أي وجود للصليبيين حتى يلجأ إليه هؤلاء الفارون .

الحيلة التي دبروها لاستعادة هؤلاء التعساء والقضاءعليهم تحت أسوار المدينة؟

يبدو أن السبب الأخير هو الدافع الحقيقي وراء ذلك كله، يؤكد ذلك القضاء على الفين من هؤلاء التعساء دفعة واحدة دون تردد.

ويستطرد ستيفن رنسيمان في رواية ما حدث داخل مدينة القدس فيقول: «ولم يظهر الخوارزميون شيئاً من الرأفة بالمدينة، فاقتحموا كنيسة القيامة، ولم يرفض مغادرة المدينة إلا عدد قليل من القسس اللاتين المتقدمين في العمر، الذين كانوا يحتفلون بإقامة القداس، فلقوا مصرعهم مع من كان حاضرًا من قسس المذاهب الدينية الوطنية، ثم جرى إخراج عظام ملوك بيت المقدس من القبور وتحطيمها، واشتعلت النيران بالكنيسة وتعرضت الدور والدكاكين في جميع أنحاء المدينة للنهب، كما احترقت الكنائس حتى أضحى جميع المكان قفراً موحشاً»(١).

ويذكر مؤرخ عراقي محدث أنه «من خلال هجوم الخوارزميين على بيت المقدس واستعادتها للمسلمين تمكنوا من أسر جماعة من أمراءالصليبيين وقسيسيهم وأساقفتهم ومعهم بعض أمراء المسلمين وبعثوا بهم جميعاً إلى الملك الصالح أيوب في مصر»(٢).

وحين فرغ الخوارزميون من أمر القدس توجهوا إلى غزة، فنزلوا بها،

---

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٣، وانظر أيضاً ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص٣٢.

(٢) نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٤، ولم أعثر في أي من المصادر التي اعتمدت عليها ما يؤكد هذا الرأي، وعندما رجعت إلى المصدرين اللذين اعتمدعليهما نافع العبود وهما المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٧ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٣، لم أجد أي إشارة لذلك، ويبدوأن الأمر قد اختلط عليه لأن هذا الحدث من قبل الخوارزميين قد وقع بعد معركة غزة الثانية وليس في أثناء استيلائهم على لقدس.

ووردت رسلهم إلى السلطان نجم الدين أيوب يخبرونه بقدومهم لنصرته ويطلبون منه تسيير العساكر إليهم ليحاربوا عمه الملك الصالح إسماعيل، والملك المنصور صاحب حمص(١) .

وأحسن الصالح نجم الدين أيوب استقبال رسل الخوارزميين في القاهرة، وأرسل إلى جموعهم في غزة الخلع والخيل والأموال(٢) وأمرهم أن يقيموا في غزة ومنعهم من دخول مصر، ووعدهم أن يعطيهم الشام(٣) .

ويتضح من موقف السلطان نجم الدين أيوب حيال الخوارزميين مدى تخوفه من دخولهم إلى مصر، لما جبلوا عليه من تمرد وإثارة للشغب والفوضى وتهديد للأمن والاستقرار في وقت حرج تتعرض فيه البلاد لخطر الغزو الخارجي.

التحالف الصليبي الشامي :

بينما كان الخوارزميون ينهبون بيت المقدس كان فرسان الشرق الفرنجي يحتشدون خارج عكا(٤) حيث وافتهم جيوش الأيوبيين، فقد جهز الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق عساكره وجاءت إليه نجده من حلب(٥) وحضر عسكر حمص وعلى رأسه الملك المنصور إبراهيم كما جهز الملك الناصر داود عساكره من نابلس مع الظهير سنقر الحلبي والوزيري، وتقرر أن يقيم الملك الصالح إسماعيل بدمشق، والناصر داود في الكرك، وأن يتولى الملك المنصور قيادة جيوش حمص وحلب ودمشق في أثناء الحرب(٦) .

شرعت القوات المتحالفة في المسير من عكا صوب الجنوب في الرابع من

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٦ .

(٢) المقريزي. السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٣ .

(٣) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٢ .

(٤) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٣ .

(٥) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٣ .

(٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٥، النويري: نهاية الأرب جـ٢٥ ص٣٠٦ .

أكتوبر سنة ١٢٤٤م/ نهاية ربيع الآخر سنة ٦٤٢هـ، فسلكت الطريق الساحلي إلى يافا، وكان الجيش المسيحي يعتبر أضخم جيش قذف به الشرق الفرنجي منذ يوم حطين إذ تألف الجيش المسيحي من :

- ٦٠٠ فارس علماني بقيادة فيليب مونتفورت سيدتبنين وصور، ووالتر بريين كونت يافا.

- ٣٠٠ فارس على الأقل من رجال الداوية بقيادة مقدمهم أرمان بريجورد.

- ٢٠٠ فارس من الاسبتارية بقيادة مقدمهم الأكبر وليم شاتونيف.

- ٤٠٠ فارس من فرسان جماعة التيوتون (الألمانية).

- واشترك في الجيش من السرجندارية والرجالة ما يتناسب مع عدد هؤلاء الفرسان.

- وتمثلت الشخصيات المهمة في البطريرك روبرت يرافقه رئيس أساقفة صور، ورالف أسقف الرملة، كما أرسل بوهميند أمير انطاكية من أبناء أعمامه يوحنا ووليم سيدي البترون، ويوحنا سيد هام كند سطبل طرابلس.

والراجح أن القوات التي قادها المنصور إبراهيم تفوقت في عددها، ولكنها تقاصرت في تسليحها، وأمدهم الناصر داود فيما يبدو بفرسان من البدو[١].

وتذكر بعض المصادر العربية أن الفرنج كانوا آنذاك ألفاً وخمسمائة فارس

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٤، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٦ - ١٠٤٧، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ص٢٥٠ - ٢٥٣.

وعشرة الاف راجل عليهم الأمراء والقادة[١] .

وفي المقابل جهّز السلطان نجم الدين أيوب عسكراً من القاهرة وعهد بقيادته إلى الأمير ركن الدين بيبرس – أحد مماليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك – فسار إلى غزة، ثم خرج الأمير حسام الدين أبو على الهذباني بعسكر ليقيم على نابلس[٢] بهدف تعويق الإمدادات بين الناصر داود في الكرك وبقية الحلفاء على الطريق الساحلي، وكذا الاستعانة به إذا لزم الأمر في أثناء المعركة للضغط على العدو من الخلف .

ووصل جيش الحلفاء إلى عسقلان – وكانت بأيدي الصليبيين – فاجتازها جنوباً متوجهاً إلى غزة، وكان جيش مصر والخوارزميون معه في غزة فتحركا شمالاً في اتجاه عسقلان فتراءى الفريقان على مكان يقال له (أرْبيا) بين غزة وعسقلان[٣] .

موقعة غزة الثانية سنة ٦٤٢هـ :

بادر الحلفاء إلى عقد مجلس حرب، فأوصى المنصور إبراهيم بأنه ينبغى البقاء بمكانهم على أن يحصنوا معسكرهم إزاء كل هجوم من قبل الخوارزميين، وقدر أنه لن يلبث الخوارزميون أن يزدادوا قلقاً، لأنهم يكرهون مهاجمة كل موضع منيع، وليس بوسع الجيش المصري أن يستغنى عنهم فيما يشنه من هجوم، وقد يواتيهم الحظ الطيب فيبادر الجيش المصري بأكمله إلى الانسحاب إلى مصر، فوافقه عدد كبير من المسيحيين.

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٦، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٠٧، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ٥ ص٣٥٨، ابن الوردي: تتمة المختصر جـ٢ ص٢٤٩، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٦.

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٥، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٠٧.

أما والتر بريين كونت يافا فإنه اشتد في الإلحاح على القيام بهجوم مباشر إذ كانت قواتهم تنوق في العدد الجيش المصري، وقد حانت الفرصة للقضاءعلى تهديد الخوارزميين، وإذلال الصالح نجم الدين أيوب، فاتخذ والتر بريين طريقه إلى الحرب، وتحرك الجيش بأكمله للهجوم(١) .

وترتب جيش الحلفاء عند المواجهة بحيث كان في القلب الملك المنصور على رأس جيش حمص ودمشق وحلب، وفي الميسرة الظهير سنقر والوزيري على رأس عسكر الناصر داود، وفي الميمنة القساوسة والكنود ومقدما الداوية والاسبتارية على رأس عسكر الفرنج(٢) .

وفي المقابل وقف الجيش المصري في الميسرة قبالة الفرنج، مكوناً من خمسة الآف جندي من خيرة العسكر المصيري انداك، وفي القلب والميمنة تركز الخوارزميون بقيادة بركة خان وكانوا يزيدون على عشرة الآف فارس كما سبق القول.

من ذلك الترتيب يمكن أن نلاحظ أن المواجهة المرتقبة كانت بمثابة إعطاء الفرنج فرصة للثأر من هزيمتهم أمام المصريين في معركة غزة الأولى في يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٣٧هـ في أيام العادل الثاني الأيوبي(٣) كما كان فرصة للخوارزميين كي يثأروا لهزيمتهم أمام الملك المنصور إبراهيم قرب

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٤ – ٣٩٥ .

(٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٧ .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٠، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٣٥–١٠٣٦ . وهو يذكر أن الجيش الذي أرسله العادل الثاني إلى غزة سنة ١٢٣٩م / ٦٣٧م كان بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي، وليس هذا صحيحاً لأن هذا الأمير كان آنذاك محبوساً بالكرك مع سيده السلطان نجم الدين أيوب، أما قائد هذه الحملة فيدعى الأمير ركن الدين البيجاوي . انظر أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٠. النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٢٥٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٢٨٩، ٢٩٢ .

الرها سنة ٦٣٨هـ، وفي المجدل سنة ٦٤٠هـ.

ومن اللافت للنظر أن المنصور إبراهيم وسائر عسكر المسلمين قد وقفوا تحت أعلام الفرنج، وعلى رؤوسهم الصلبان، والأقساء في الأطلاب يصلبون عليهم ويقسسون، وبأيديهم كئوس الخمر يسقونهم(١).

وأخيراً وقع الالتحام بين الجيشين في يوم الاثنين الثاني عشر من جمادي الأولى سنة ٦٤٢هـ الموافق للسابع عشر من أكتوبر سنة ١٢٤٤م(٢)، وبينما كانت العساكر المصرية ترد هجوم الفرنج حمل الخوارزميون على الشاميين المحالفين للفرنج، وصمد في القتال المنصور إبراهيم وعساكره من حمص، وحافظوا على مراكزهم، ولكن عساكر دمشق لم تستطع أن تتحمل الصدمة فاستدارت وولت الأدبار، وحذا حذوهم جيش الناصر داود، وبينما كان المنصور إبراهيم يشق طريقه للخروج تحول الخوارزميون فانقضوا على جناح المسيحيين فساقوهم إلى القوات المصرية، واستبسل الفرنج في القتال دون جدوى، ففي ساعات قليلة تحطم كل جيشهم(٣) ومن الذين لقوا مصرعهم مقدم الداوية ورئيس أساقفة صور، وأسقف الرملة وسيدا البترون، ووقع في الأسر والتر بريين كونت يافا، ومقدم الاسبتارية الأكبر وليم شاتونيف، وكند سطبل طرابلس، ولاذ بالفرار إلى عسقلان فيليب مونتفورت والبطريرك، ولحق بهما من بقي علي قيد الحياة من فرسان الطوائف الدينية العسكرية منهم ثلاثة وثلاثون من الداوية وستة وعشرون من الاسبتارية وثلاثة من الفرسان

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٦، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٢ – ١٣٣.

(٢) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص١٧٤؛ هانس ابرهاردماير. تاريخ الحروب الصليبية ص٣٧٠. احمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ٥ ص٤٥٩.

(٣) انتوني بردج: تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٦٢، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٥.

التيوتون، فابحروا إلى يافا، وجرى تقدير عدد القتلى بأنهم لم يقلوا عن خمسة الآف قتيل، والراجح أنهم يزيدون على ذلك، ونقل نحو ثمانمائة أسير إلى مصر(١).

ولايختلف هذا الوصف كثيراً عما تناقلته بعض المصادر العربية وفيها «وأول ماكسرت الميسرة وهرب الوزيري وأسر الظهير سنقر، وجرح في عينه، وانهزم صاحب حمص، ومالت الميمنة بالفرنج، فرأوا الميسرة والقلب قد انكسرا، فخذلوا، فأحاطت بهم الخوارزمية، وكان عسكر مصر قد انهزموا إلى قريب العريش، ورموا كوساتهم وأثقالهم، وثبتت الخوارزمية، وما كانت إلا ساعة حتى حصدتهم الخوارزمية بالسيوف حصداً جيداً، وأسروا منهم ثماني مائة أسير(٢).

فهذا الوصف يكشف عن خطة المعركة وهي انسحاب المصريين جنوباً في اتجاه العريش لسحب الصليبيين وفصلهم عن جيش حلفائهم من جند دمشق وحلب وحمص والكرك، وتمكين الخوارزمية من الإحاطة بهؤلاء الحلفاء في المسافة بين ميمنتهم والقلب، وقد نجحت هذه الخطة في تحقيق الهدف المنشود. يقول المؤرخ المعاصر ابن واصل «وانتصرت العساكر المصرية نصرة عظيمة، ووردت البشائر بذلك إلى مصر(٣).

ويقول مؤرخ معاصر آخر «كانت هذه الوقعة بين عسكر مصر ومقدمه

---

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٥ – ٣٩٦، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٦ – ١٠٤٧ عن
Stevenson (W.B) : the Crusaders in the Esst. P. 239 (Cambridge, 1907)
وانظر أيضاً حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة التيوتون ص٢٥٣.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٦ وعنه نقل النويري: نهاية الآرب جـ٢٩ ص٣٠٦، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٢ – ١٣٣.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٩، وانظر أيضاً: ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص٣٣٧.

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحي وبين عسكر الشام ومقدمه المنصور صاحب حمص ومعهم أفرنج الساحل، فكسرت الأفرنج ومن انضم إليهم من منافقي المسلمين كسرة عظيمة وغُنِمَ منهم أموال عظيمة وأسر من الفرنج خلق من ملوكهم وكبرائهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وذهب برؤوس المقتولين والمأسورين إلى مصر(١).

ويقول مؤرخ مسيحي معاصر وثبتت الديوية والاسبتارية قبالة العساكر المصرية والخوارزمية، وقاتلوا إلى أن قتلوا جميعاً، ولم يبق منهم إلا نفر يسير أسروهم وحملوهم إلى مصر(٢).

وكان المؤرخ المعاصر أبو المظفر قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي موجوداً بالقدس في يوم المعركة وارتحل عنها في اليوم التالي متوجهاً إلى غزة فوصف ما رآه من آثار المعركة هناك فقال: «ولقد أصبحت ثاني يوم الكسرة إلى غزة فوجدت الناس يعدون القتلى بالقصب، فقالوا: هم زيادة على ثلاثين ألفاً(٣).

ويؤيد النويري وابن كثير والمقريزي(٤) هذه الرواية على حين ينفرد الصفدي وحده بالقول «وزادت القتلى على عشرين ألفاً»(٥).

---

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص١٧٤.

(٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٣، وانظر أيضاً ابن خلدون: العبر جـ٥ ص٣٥٨.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٦. المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٧.

(٥) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣، وتفتقر روايته هنا إلى شيء من الدقة ومن ذلك مثلاً أنه يذكر أن الصالح إسماعيل صاحب دمشق سار إلى غزة مع أنه لم يحضر هذه المعركة، وكذلك يذكر أن عسكر مصر قد هرب من المعركة!!

وقد أجمع معظم المؤرخين المسلمين(١) الرأى على أن الانتصار في غزة كان يوماً عظيماً لم يجر في الإسلام مثله لافي زمان نور الدين محمود أو صلاح الدين الكبير، على حين اطلق بعض المؤرخين المحدثين على هذه المعركة «حطين الثانية»(٢) .

أما ما أصاب الصليبيين على وجه الخصوص فقد عبر عنه بعض من مؤرخي الحروب الصليبية الأوربيين فقد قال أحدهم «إن الخسارة في القوة البشرية جعلت الشرق الفرنجي من العجز بحيث لم يعد قادراً على الدفاع إلا عن المناطق الساحلية المنيعة، ولم يفق معركة غزة في كثرة الخسائر سوى معركة حطين»(٣) ، وقال ثانيهم: «وكانت هذه الهزيمة أسوأ ما عرفوه منذ معركة حطين»(٤) . وقال ثالثهم: «وفي غزة هزمت قوة من المصريين والخوارزميين الجيش المسيحي بشكل مزعج، وانقذ النزاع المرير في المعسكر الإسلامي المسيحيين من خذلان تام، فتراجعوا إلى مدينتهم الساحلية المحصنة»(٥) .

والغريب أن هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الشرق الأدنى الإسلامي لم تلق حتى الآن من كثير من المؤرخين ما تستحقة من العرض والدرس والتحليل الذي يتناسب مع ما ترتب عليها من آثار مهمة كان لها أبعد الأثر على ما تلاها من أحداث .

---

(١) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص١٧٢، ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ ص٢٤٩، ابن سباط : صدق الأخبار جـ١ ص٣٣١.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٦، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٥ ص٤٥٩، حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة التيوتون ص٢٥٣.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٧.

(٤) هانس ابرهاردماير: تاريخ الحروب الصليبية ص٣٧٠.

(٥) انتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية ص٢٦٢.

الآثار غير العسكرية :

لم تتوقف نتيجة المعركة السابقة عند انتصار المصريين والخوارزميين عسكرياً على أعدائهم من الصليبيين وحلفائهم الشاميين وما ترتب على ذلك من الآف القتلى ومئات الأسرى فحسب، وإنما امتد ذلك إلى آثار أخرى مهمة.

١- **الأثر الاقتصادي** : وقد تمثل ذلك في استيلاء المصريين والخوارزميين على أموال المنهزمين وأثقالهم حتى إنهم حازوا – حسب رواية المقريزي – على ما يجل وصفه من الأموال(١) .

فبالنسبة للصليبيين على وجه الخصوص فد تمثلت خسارتهم المادية – إضافة إلى ما سبق – في فقدهم الكثير من الأراضي التي كانوا يمتلكونها ، وقد تضمن خطاب من الأراضي المقدسة مؤرخ في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٢٤٤م الموافق للثالث والعشرين من جمادي سنة ٦٤٢هـ وصف الحالة على النحو التالي : « ينطلق الخوارزميون دون أي عقبة، ولايستطيع أحد مقاومتهم، يستولون على البلاد، ويتقاسمونها كما لو كانت ملكاً لهم ويعينون ضباطاً لهم في المدن والقرى المسيحية، ويجمعون المحاصيل، ويجبون الضرائب التي كان الفلاحون يدفعونها للصليبيين(٢) .

أما الشاميون المناصرون للصليبيين فقد نالوا حظهم من الخسائر حيث أُخِذَ جميع مال الظهير سنقر قائد جيش الناصر داود حتى أصبح فقيراً – حسب رواية سبط ابن الجوزي – ونهبت خزائن المنصور إبراهيم صاحب

---

(١) المقريزي : السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٧، وانظر أيضاً ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٣، وأبا شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٤ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ص٢٥٣ – ٢٥٤ نقلاً عن Mathhew. Paris.chromica IV. P37.

حمص وخيله وسلاحه حتى إنه طلب شاشاً ليتعمم به فلم يجد(١) .

٢- الأثر النفسي : وتمثل في مدى الفرحة الغامرة التي عبر عنها المصريون في مظاهر الاحتفال التي ازدانت بها مصر كلها إذ لما قدمت البشارة إلى السلطان نجم الدين أيوب في الخامس عشر من جمادي الأولى سنة ٦٤٢هـ الموافق للعشرين من أكتوبر سنة ١٢٤٤م، أمر بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعتي الجبل والروضة، فبالغ الناس في الزينة، وضربت البشائر عدة أيام، ووصل إلى مصر أساري الفرنج راكبين الجمال والمقدمون منهم على خيولهم ومعهم جماعة من أصحاب الملك الناصر داود، وجماعة من عسكر دمشق، فكان دخولهم القاهرة يوماً مشهوداً، وعلقت رؤوس القتلى على أبواب القاهرة، وملئت الحبوس بالأسرى(٢) .

وقد اشتفت نفوس الخوارزمية بالثأر من غريمهم المنصور إبراهيم الذي جعل يبكي بعد المعركة ويقول: «والله لقد حضرت الحرب ذلك اليوم، وأوقع الله تعالى في قلبي أننا لاننتصر لانتصارنا بالكفار على المسلمين، وقد علمت أنه لما سرنا تحت الصلبان أننا ما نصلح أبداً»(٣) ثم مضى الملك المنصور ومن بقي معه من العسكر في أسوأ حال، ودخل دمشق وهو لايصدق بالنجاة، فلم يقبل عليه الصالح إسماعيل على عادته فعسر عليه ذلك(٤) .

٣- الأثر السياسي: وتمثل في الخسارة السياسية الفادحة التي أصابت الصليبيين، فقد سلبتهم الهزيمة أمام المصريين والخوارزميين كل ما أحرزته لهم

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٧، وانظر أيضاً الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٨، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٧ .

(٣) النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٦ .

(٤) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٣، ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٣٩ .

الدبلوماسية من مكاسب طارئة في عشرات السنين الأخيرة(١) أي منذ قدوم الملك فردريك الثاني إلى بيت المقدس إلى المفاوضات التي أجريت مع السلطان نجم الدين أيوب سلطان مصر، والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق وحلفائه في الكرك وحمص.

وترتب على ذلك أن أصبحت الأراضي المسيحية المقدسة في حاجة ماسة إلى مساعدة جديدة وتدابير جديدة(٢) وكان بطريق بيت المقدس قد بادر بإرسال سفارة إلى الغرب الأوربي عقب استيلاء الخوارزمية على بيت المقدس سنة ١٢٤٤م ليشرح للبابوية وملوك الغرب الأوربي وأمرائه خطورة موقف الصليبيين بالشام، ويطلب منهم المعونة العاجلة، وقد غادرت تلك السفارة ميناء عكا في نوفمبر سنة ١٢٤٤م، أي بعد هزيمة الصليبيين في غزة – وكانت مؤلفة من أسقف بيروت وبطريق أنطاكية فأدت جهودهما إلى عقد مجمع ليون في فرنسا(٣).

وعلى هذا ففي الجلسة الأولى التي عقدت في ١٨ يونية سنة ١٢٤٥م لهذا المجمع قرر أعضاؤه – ضمن ما قرروا – تخليص القبر المقدس من المسلمين، بتجريد عساكر لإنقاذهم في حرب صليبية، وأن البابا والأساقفة يقدمون للنفقة على هذه الحروب عشر مداخيلهم، وباقي الأكليريكيين نصف عشر مداخيلهم، وأصدروا الأوامر اللازمة لتجهيز هذه الحرب(٤).

وفي الوقت الذي كانت فيه أوربا نهباً للقلاقل والاضطرابات نهضت فرنسا وحدها وعلى رأسها مليكها القديس لويس التاسع بعبء الحملة

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٧.

(٢) أرنست باركر : تاريخ الحروب الصليبية ص١١٨.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٥٢.

(٤) سيد على الحريري : الحروب الصليبية ص٢٤٩.

الصليبية السابعة(١) وقد حاول هذا القديس أن يكفل النجاح لهذا الأمر الخطير فسعى للتوسط بين البابا أنوسنت الرابع والأمبراطور فردريك الثاني غير أنه لم يحرز شيئاً من النجاح(٢) .

وجاء على رأس الغوامل التي دفعت الملك الفرنسي للقيام بحملته ماأنزله الخوارزمية باللاتين في الشرق من شتى صنوف العذاب ومنها ضياع بيت المقدس من أيدي الفرنج، وأنهزامهم عند غزة والتنكيل بهم، والاستهتار بحرمة المعابد والكنائس، واشعال النيران في قبر المسيح، فكان كل ذلك باعثاً على فزع القديس لويس بخاصة وأهل الغرب بعامة، وسبباً في إثارة مشاعرهم وحفز هممهم للثأر لما نزل بالأراضي المقدسة(٣) .

وفي جبهة أخرى تمثل الأثر السياسي أيضاً في فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ المغولي الذي استشرى في بلاد سلاجقة الروم منذ أن تمكن جيش المغول بقيادة «بايجو» نوين من الانتصار على جيش السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو عند «كوسه داغ» أي الجبل الأقرع على مقربة من اذربيجان في يوم الجمعة السادس من المحرم سنة ٦٤١هـ/ السادس والعشرين من يونيه سنة ١٢٤٣م(٤) .

وفي سنة ٦٤٢هـ شرع المغول في فرض نفوذهم جنوباً، فهددوا بلاد شمالي الجزيرة، فتعرضت ميافارقين وماردين وحرّان والرها لمحنة الخضوع للنفوذ

---

(١) هانس ابرهاردماير : تاريخ الحروب الصليبية ص٣٧٣، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر ص٣٣.

(٢) أرنست باركر : تاريخ الحروب الصليبية ص١٢٠.

(٣) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر ص٥٠ – ٥١، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا ص ١٣٣.

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ص ٢٨٧، السيد العريني : المغول ص ١٨٣، فؤاد السيد: المغول في التاريخ ص١٨٣.

المغولى(١) وكذلك عبر القائد المغولي «يساور» نهر الفرات سنة ٦٤٢هـ إلى حيلان بجوار حلب، ولم يدخلها لأن حوافر خيل عسكره تعطلت بسبب يبوسة الأرض والحر، فأرسل إلى صاحب حلب يطلب مالاً، فأرسل إليه كل ما طلب ورجع من هناك(٢).

وفي نفس السنة ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل – وقد أصبح تابعاً للمغول – يقول: «إنني قد قررت على أهل الشام قطيعة للتتر في كل سنة من الغنى عشرة دراهم ومن المتوسط خمسة، ومن الفقير درهم» فقرأ القاضي محيي الدين بن الزكي الكتاب على الناس،ووقع الشروع بالجمع»(٣).

ولا تشير المصادرالتاريخية إلى موقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق آنذاك من هذا الأمر، ويبدو أنه تجاهل الموضوع، فقد كان مشغولاً بمحالفة الصليبيين ضد أخوانه المسلمين في مصر!

وعموماً فقد تجلى الأثر السياسي للضغط المغولي الذي نجم أصلاً عن حالة التمزق السياسي والصراع العسكري التي عاشها المسلمون – فترة طويلة – في الشرق الأدنى الإسلامي في حضور شخصيات إسلامية مهمة للقوريلتاي (المؤتمر المغولي العام) الذي عقد في قراقورم بمنغوليا لتتويج كيوك ابن أوكتاي خاقاناً أعظم للمغول سنة ٦٤٤هـ، فقد حضره شقيق الملك الناصر صاحب حلب، والقاضي فخر الدين الدامغاني قاضي قضاة بغداد مندوباً عن الخلافة العباسية(٤) وسلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى وغيرهم(٥).

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ١٩٤، عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام ص٣٢٣.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان ص٢٨٩.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٤٥، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٥، القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ٧٧.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٩، أرمنيوس فامبري:تاريخ بخارى ص ١٨٨.

(٥) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص١٨١، السيد العريني: المغول ص ١٩٣.

التحرك الخوارزمي التاسع (غزة - حمص) ٦٤٢هـ

أخفق السلطان الصالح نجم الدين أيوب في استخلاص ولده المغيث عمر من أسر الملك الصالح إسماعيل له في دمشق، وحبسه في أحد أبراج قلعتها وما لبث المغيث أن مات في سجنه غماًوغبناً في ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٤٢هـ(١) أي قبل معركة غزة الثانية بحوالي عشرين يوماً على وجه التقريب، فكظم نجم الدين غيظه، وأصر على الانتقام من عمه.

وحين انتهت المعركة أرسل نجم الدين إلى الأمير ركن الدين بيبرس قائد الجيش المصري بغزة، والأمير حسام الدين بن أبي علي - وكان مقيماً بعسكر على نابلس كما سبق القول - يأمرهما بمنازلة عسقلان الواقعة على الساحل والتي سُلِمَت من قبل الصالح إسماعيل والناصر داود إلى الفرنج من قريب فبنوا قلعتها وحصنوها، فتقدم ركن الدين وحسام الدين بمن معهما من عسكر مصر إليها، ونازلوها وضايقوها، فامتنعت عليهم لحصانتها(٢).

وفي تلك الأثناء هرع الخوارزميون إلى يافا الواقعة شمالي عسقلان لعلهم يحصلون على حظ أوفر من نظرائهم المصريين، وجاء معهم أسيراً والتربريين كونت يافا، وهددوا بشنقه ما لم تستسلم الحامية، غير أن الكونت الأسير صاح برجاله أن يثبتوا في القتال، وكانت استحكامات يافا من المناعة ما يعجز الخوارزميون عن مهاجمتها، فانسحبوا بأسيرهم الذين أبقوا على حياته على أنه مات فيما بعد عقب شجار نشب بينه وبين أمير مصري كان يلاعبه الشطرنج(٣).

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٥١، ابن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ص٣٧٩.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٤٠، المقريزي : السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٨.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٦.

وأدى صمود عسقلان ويافا في وجه الهجمات الخوارزمية والمصرية إلى أن اضطر السلطان نجم الدين أيوب إلى اتخاذ عدة إجراءات منها أن يستمر الأمير ركن الدين بيبرس محاصراً لعسقلان على أن تتحرك سفن الأسطول من مصر لمراقبة الساحل(١) وأن يعود الأمير حسام الدين بن أبي على بعسكره إلى نابلس وأن يقيم فيها، وترتب على ذلك تمكن نواب السلطان الصالح نجم الدين بغزة والساحل وبيت المقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار حتى إنه لم يبق بيد الملك الناصر إلا الكرك والبلقاء والصلت وعجلون(٢).

أما الخوارزميون الذين ضايقهم الصالح نجم الدين أيوب بعدم السماح لهم بنزول أراضي مصر الخصيبة،وغموض موقفه بالنسبة لما كان قد وعدهم به قبل معركة غزة الثانية من تمليكهم الشام، فقد بدأوا يشعرون بالملل بعد عجزهم عن اقتحام يافا فاستداروا، وأغاروا على فلسطين، ومضوا في طريقهم حتى بلغوا أرباض عكا ثم ارتدوا عنها للداخل مترقبين ما قد تسفر عنه الأحداث(٣).

ولم يغب عن الصالح نجم الدين أيوب خطورة ما يعتمل في نفوس الخوارزميين نحوه من ضيق وغضب، فرأى أن يستنفذ طاقتهم القتالية بعيداً عن ممتلكاته في مصر والشام، فوجههم إلى إدراك ثأره قبل عمه الصالح إسماعيل.

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٤٠، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٨ ونقلت عنهما عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص٢٩٤، ولكنها أخطأت فنسبت الأمر للصالح اسماعيل بدلاً من الصالح نجم الدين ولعل ذلك يكون سهواً منها.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٧، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٧.

حصار دمشق :

أخرج الصالح نجم الدين أيوب وزيره الصاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ بباقي عسكر مصر وخوّله سلطات واسعة، وكتب إلى الخوارزميين أن يسيروا في خدمته، فسار معين الدين من القاهرة بالعساكر إلى غزة، ومن هناك توجه إلى بيسان فأقام بها مدة(١) استمرت بضعة شهور استطاع خلالها استكشاف حقيقة الأمور وإعداد الآت الحصار، وتنظيم جيشه، واستقبال جموع الخوازرميين فلما أطمأن إلى ذلك كله تحرك بالجيش في اتجاه دمشق فوصل إليها في إبريل سنة ١٢٤٥م(٢) الموافق لذي الحجة سنة ٦٤٢هـ، فشرع في حصارها،وبها صاحبها الصالح إسماعيل ومعه المنصور إبراهيم صاحب حمص(٣) .

وفي دمشق كان الرعب قد تمكن من قلب صاحبها، فتهيأ للحصار، وخرّب رباعاً كثيرة حول البلد، وقطع الجسور التي تحفظ مياه بردى فأضحت الأراضي الواقعة خارج أسوار دمشق مستنقعاً يتعذر اختراقه(٤) وغرقت المساكن التي على حافة بردى بين جسري بابي توما والسلامة بسبب إخراب باب توما وحده، إذ رجع الماء وارتفع وصار بحيرة فوقع ما كان على حافته(٥) من الدور وغيرها.

ولم يجد ذلك نفعاً أمام ماجبل عليه الخوارزميون من قسوة وخشونة،

---

(١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٨ – ٣١٩.

(٢) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٧.

(٣) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص١٧٢ – ١٧٣، ابن الوردي: تتمة المختصر جـ٢ ص٢٤٩، ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣٣٧.

(٤) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٧، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية جـ٢ ص١٠٤٧.

(٥) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٧٤، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٦.

فسرعان ما شرعوا يعيثون فساداً في أعمال دمشق(١) بل أنهم أمعنوا في قطع الطريق على الناس، وزحفوا على البلد من كل ناحية(٢) .

وفي يوم الاثنين الثامن من المحرم سنة ٦٤٣هـ ضويقت دمشق مضايقة شديدة، وقد اجتمع عليها عساكر عظيمة من المصريين والخوارزمية وغيرهم، ففي تلك الليلة أحرق قصر حجاج (وهو محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية، وتنسب إلى حجاج ابن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان)، والشاغور، واستولى الحريق على مساجد وخانات، ودور عظيمة، ومن ذلك مسجد جراح باب الصغير، وكان جامعاً تقام فيه الجمعات ، ثم نصبت على دمشق المجانيق، ورميت به بين بابي الجابية والصغير، ونصبت أيضاً مجانيق داخل البلد، وترامي الفريقان، وأمر (أى الصالح إسماعيل) بتخريب حارة العقبية خارج باب الفراديس، وباب السلامة، وباب الفرج، وأحرق حكر السماق خارج باب النصر(٣) ثم أرسل الصالح إسماعيل الزرافين يوم الثلاثاء تاسع المحرم فأحرقوا جوسق والده العادل الأيوبي، وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها(٤) .

وقد أسفر ذلك كله عن انتهاب أموال الناس حتى افتقر كثير منهم وغلت الأسعار(٥) واشتد الغلاء حتى زادت أوقية الخبز على نصف درهم، وبلغ التبن

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٤١، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣١٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٢، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣١٠.

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٥، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٠.

(٤) النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣١١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٣٧ – ١٧٨.

(٥) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٢، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٠.

أن بيع كل أوقية بقرطاس(١) ولم تعد الطرق آمنة، وفقد العديد من الناس بيوتهم وتشردوا على الطرق، فاحترق بعضهم، وجرت بدمشق شدائد بشعة لم تتم عليها من قبل(٢) حتى إن الجنائز توقفت عن البروز إلى ظاهر دمشق خوفاً من أذى المحاصرين ومن ذلك جنازة الشيخ تقي الدين أبي الصلاح عثمان الإمام العلامة مفتي الشام ومحدثها وكانت وفاته في دارالحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٤٣هـ وصلى عليه بجامع دمشق وشيعه الناس إلى داخل باب الفرج ولم يمكنهم البروز لظاهره لحصار الخوارزمية(٣).

وهكذا لم يعد أمام الملك الصالح إسماعيل،والملك المنصور إبراهيم إلا طلب الأمان وتسليم دمشق إلى جيش الملك الصالح نجم الدين أيوب، لأنهما علما أنه لاطاقة لهما بعساكر مصر لكثرتها، وقلة من عندهم من العسكر، مع فناء ما بقلعة دمشق من الذخائر، وقد تخلى عنهم الحلبيون، وليس معهم مدد(٤).

ويبدو أن كلاً من الملكين قد اختار في البداية طريقاً مختلفاً للتعامل مع الموقف الصعب «ففي ربيع الآخر سنة ٦٤٣هـ خرج الملك المنصور من دمشق إلى ظاهرها واجتمع مع الأمير بركة خان رئيس الخوارزمية، واستبشر الناس باجتماعهما، وعاد الملك المنصور إلى دمشق»(٥).

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨.

(٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٠.

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٥ – ١٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٤، ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣٣٧.

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣١١، المقريزي : السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٠ وأن كان يحدد تاريخ ذلك في ربيع الأول لا الآخر.

ويفسر المؤرخ المعاصر ابن العميد موقف المنصور إبراهيم الذي كان موتوراً من قبل الصالح إسماعيل منذ أن أعرض عنه عند عودته مهزوماً من غزة في جمادى الآخرة سنة ٦٤٢هـ فيقول : «وعزم الملك المنصور أن يسلم دمشق إلى الخوارزمية من باب شرقي نكاية في الملك الصالح إسماعيل ثم انثنى عزمه عن هذا العزم خوفاً على المسلمين من الخوارزمية(١) .

أما الصالح إسماعيل فقد فوض وزيره أمين الدولة في إجراء الصلح ، فأرسل الوزير يطلب من الصاحب معين الدين شيئاً من ملبوسه،فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقميص ومنديل، فلبسها الوزير وخرج إلى معين الدين بعد العشاء وتحدث معه ساعة، ثم عاد إلى دمشق ثم خرج مرة أخرى، فوقع الاتفاق على تسليم دمشق إلى الصاحب معين الدين على أن يكون للصالح إسماعيل ما كان له أولاً وهو بعلبك وأعمالها وبصرى وبلادها والسواد، وأن يكون للملك المنصور حمص وتدمر والرحبة(٢) بشرط أن يمكنهم من الخروج ولايتعرض إليهم في شيء من أموالهم وجميع ما يتعلق بهم(٣) .

ولما تحقق الصلح في ثامن جمادي الأولى زال الحصار عن دمشق، ورحل في الليل عنها الملك الصالح إسماعيل إلى بعلبك، والملك المنصور إلى حمص، ودخل إليها من الغد الصاحب معين الدين، فزال الخوف والظلم عنها والوجل والمصادرات(٤) .

وفي إجراء حاسم منع الصاحب معين الدين الخوارزمية من دخول

---

(١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٣ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣١١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨ .

(٣) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢١ .

(٤) ابو شامة: الذيل على الروضتين ص١٧٦ .

دمشق، واسترضاء لهم أصدر – وفقاً للسلطات المخولة له من السلطان نجم الدين أيوب– مناشير أقطع فيها ملوك الخوارزميين وأمراءهم أكثر بلاد الشام والساحل(١) لكنهم امتعضوا من هذه الاقطاعات ورأوا أنها لاتفي بالغرض المطلوب(٢) وأن الأمر كله لايعدو أن يكون أكثر من مسألة شكلية بعيدة عن الواقع العملي، لأن معظم مدن الساحل كانت بأيدي الصليبيين وما عداها كان ملكاً للأيوبيين أو إقطاعاً لهم.

وينبغي أن نتوقف هنا لنقرر أن الأضرار الجسيمة التي أصابت مدينة دمشق وأهلها وبخاصة داخل الأسوار في مطلع سنة ٦٤٣هـ أي في أثناء الحصار الأول لم تكن من جراء ما اقترفت أيدى الخوارزميين وحدهم، وإنما يشاركهم في إثمها وبنصيب أكبر الملك الصالح إسماعيل الذي خرّب وأغرق وأحرق مواضع عدة بها،والصاحب معين الدين الذي أحرقت مقذوفات مجانيقه وهدمت مواضع أخرى غيرها.

حقاً .. قد يكون الخوارزميون مسئولين عما جرى من اعتداءات وجرائم وقعت خارج أسوار دمشق غير أن هذا لايقاس بما ارتكبه غيرهم داخل هذه الأسوار.

كذلك ينبغى الإشارة إلى أن الخوارزميين بعد أن تركوا إقطاعاتهم في الشرق وبخاصة في مدينة نصيبين، ونزلوا إلى الشام تلبية لطلب سلطان مصر نجم الدين أيوب، لم يعد لهم بعد طول فترة الحصار الذي استغرق أكثر من خمسة شهور حول أسوار دمشق إلا الاعتماد على قوائم سيوفهم في نهب ما تقع عليه عيونهم خارج هذه المدينة وفي أقرب نقطة إليها، وهي غوطة دمشق

---

(١) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢١، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٦.

(٢) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص ٣٥٨، ابن خلدون: العبر جـ٥ ص٣٥٨.

التي اشتهرت في الأدب العربي بوفرة خيراتها وطيب العيش فيها،غير أنهم تمهلوا إلى حين قريب، ومكثوا متربصين عسى أن تنجلي الأمور عن شيء جديد .

وكان السلطان نجم الدين قد اشتد غضبه على وزيره الصاحب معين الدين وأنكر عليه وعلى الأمراءالمصريين تنفيس خناق عمه الصالح إسماعيل وتمكينه من الذهاب سالماً بحشاشة نفسه، فإنه كان لايرى إلا إعدامه حنقاً عليه بسبب اتهامه بقتل ولده المغيث عمر، ولما بدا منه في حقه، ومن ثمة ورد كتاب السلطان على الأمير حسام الدين بن أبي علي وهو بنابلس يأمره بالتوجه إلى دمشق متولياً لها، فمضى إلى دمشق ودخلها وأقام بها، ومرض الصاحب معين الدين بدمشق، وتوفي بها بعد دخول حسام الدين بأيام في ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٤٣هـ فقرر السلطان نجم الدين أيوب بقلعة دمشق الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير(١) فدبرا الدولة تدبيراً جميلاً وعدلاً في الرعية(٢) .

أما الخوارزمية الذين لم يمكنوا من دخول مصر أو دمشق، ولم يحضروا الصلح الأخير، ولما يعلموا به، فإنهم لما علموا أيقنوا حقيقة الأمر فتغيرت خواطرهم على السلطان نجم الدين أيوب وقرروا الخروج عن طاعته(٣) ، ومن ثم اتجهوا إلى داريا (وهي قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بغوطتها) فنهبوا أهلها وأتلفوا ما كان عليها(٤) وجاء هذا تعبيراً عما استكن في

---

(١) ابن واصل مفرج الكروب جـ٥ ص٣٤٩، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٥٠، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨ .

(٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ٣٤، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢١ .

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣١٣ .

(٤) الذهبي: العبر جـ٥ ص١٧٤، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٣ : السيد العريني: المغول ص٩٦ .

نفوسهم ضد السلطان ، وتذكيراً له بمدى قوتهم وسطوتهم.

وتوافق مع الخوارزميين في عدائهم للسلطان نجم الدين أيوب خصم لدود له هو عمه الصالح إسماعيل الذي بلغه إنكار السلطان على أمرائه لكونهم مكنوه من التوجه إلى بعلبك، فخاف على نفسه، وتأكد من سوء رأى السلطان فيه، وأنه متى ظفر به لايبقى على حياته، فكاتب الأمير عز الدين أيبك المعظمى صاحب صرخد (وهي قلعة حصينة واسعة ملاصقة لبلاد حوران في جنوبي دمشق) وأمراء الخوارزميين، فاتفقوا معه وحلفوا له(١) .

وراسل الخوارزميون كذلك الملك الناصر داود صاحب الكرك وكان موتوراً من قبل السلطان نجم الدين – وكانت أمه خوارزمية كما سبق القول – فوافقهم، ونزل إليهم، وتزوج منهم ثم عاد إلى الكرك، واستولى نوابه على ماكان بيد الأمير حسام الدين بن أبي على الذي كان قد ترك نابلس من قريب وتوجه إلى دمشق، فكان مما استولوا عليه نابلس والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار، وهرب منهم نواب السلطان نجم الدين أيوب(٢) .

وعمل الخوارزميون على استقطاب عنصر آخر مهم إلى حلفهم الجديد، فكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس وهو على غزة بعسكر جيد من عساكر مصر، وحسنوا له أن يكون معهم يداً واحدة، وأن يزوجوه منهم، فمال إليهم(٣) .

تقول مؤرخة محدثة في تفسير موقف الأمير بيبرس في هذا الشأن «وافق بيبرس على هذا العرض، وانضم إليه تحدوه الرغبة في تحقيق السلطان

---

(١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص٣٤، النويري : نهاية الآرب جـ٢٩ ص٣١٤ – ٣١٥، نافع العمود: الدولة الخوارزمية ص١٨٧ .

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٤، ابن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ص ٣٣٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥١، المقريزي : السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٢ .

السياسي في بلاد الشام»[١] ، وهو قول غامض في تقديري، فهل المقصود بتحقيق السلطان السياسي تحقيق الوحدة السياسية، وعلى فرض تحقيق ذلك، أيكون هذا تحت جناح الخوارزميين أم الصالح إسماعيل أم الناصر داود ؟ أم هم معاً؟! وأين سيكون مكان هذا الأمير في ظل هذا السلطان السياسي المزعوم؟

أغلب الظن أن هذا الأمير شأن غيره ممن تعامل عن قرب مع السلطان نجم الدين أيوب قد عاني من فرط خشونته وتعاليه وقسوته في العقاب، وتلك الصفات نفسها كانت تدفع جيرانه في الشرق إلى محاولة التخلص منه، فلعله كان يبحث عن ملجأ يلوذ به بعيداً عن هذا السلطان الصارم.

دمشق وعودة الحصار :

استغرق الخوارزميون بعض الوقت في إقناع زعماء قوى التحالف الجديد المعادى للسلطان نجم الدين أيوب وتوحيد كلمتهم، ثم اتخذوا خطوة عملية لحث الحلفاء على المشاركة الفعلية فتوجهت فرسان الخوارزميين صوب أسوار مدينة دمشق وشرعوا في حصارها في مطلع شهر شوال سنة ٦٤٣هـ[٢] .

وظل الصالح إسماعيل صاحب دمشق السابق قابعاً في بعلبك يترقب رد فعل السلطان نجم الدين أيوب تجاه محاصرة الخوارزميين لمدينة دمشق، فلما تيقن من إحكام الخوارزميين قبضتهم على دمشق رأى ألا يضيع الفرصة، فتحرك بجيشه من بعلبك في اتجاه الجنوب فوافي الخوارزميين على دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة[٣] وكذلك فعل الأمير عز الدين أيبك

---

(١) عفاف صبره : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص٢٩٧.

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٨، وانظر أيضاً نافع العبود : الدولة الخوارزمية ص ١٨٧، فيبو يخطئ في تحديد تاريخ بداية محاصرة الخوارزميين دمشق للمرة الثانية فيجعله في أول المحرم من سنة ٦٤٣هـ، والصحيح ما أثبته في المتن، ويبدو أن الأمر اختلط عليه فلم يفرق بين الحصار الثاني والحصار الأول الذي وقع فعلاً في شهر المحرم سنة ٦٤٣هـ، انظر : أبا شامة : نفس المصدر ص ١٧٥.

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، النويري : نهاية الأرب جـ٢٥ ص٣١٤.

المعظمي صاحب قلعة صرخد(١) .

وفي داخل دمشق قام الأمير حسام الدين بن أبي على بحفظها أحسن قيام(٢) وصمدت القلعة كذلك بقيادة الأمير شهاب الدين رشيد الكبير، على الرغم من عدم وجود عسكر كبير بدمشق آنذاك(٣) .

وانقطعت الميرة عن دمشق، وغلت الأسعار بها إلى الغاية، وأوردت المصادر التاريخية(٤) بيانات هذه الأسعار التي كانت تزداد ارتفاعاً مع اشتداد الحصار فكانت على النحو التالي في أثناء الحصار :

م	السلعة	الوزن	السعر من	السعر إلى	العملة	ملاحظة
١	القمح	الغرارة	١٦٠٠	١٨٠٠	درهم	بدأ ارتفاع السعر منذ
٢	الدقيق	القنطار	٦٠٠	٩٠٠	درهم	شهر شوال الذي حاصر
٣	الخبز	الرطل	٣	٤	دراهم	فيه الخوارزمية دمشق
٤	الشعير	الغرارة	١٠٠٠	١٢٥٠	درهم	ثم زاد في أخر ذي
٥	اللحم	الرطل	أقل من	٧	درهم	القعدة حين اشترك في
٦	الباقلا	الرطل	درهم	١ر٢٥٠	درهم	الحصار الحلفاء
٧	الفحم الردي	الرطل	،،	٦	دراهم	الأيوبيون من بعلبك
٨	الزبيب	أوقية	١	١ر٥	درهم	والكرك وصرخد

(١) ابن العديم أخبار الأيوبيين ص ٣٤، وصرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة.. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص١-٤ .

(٢) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص١٧٤، ابن سباط : صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٤ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٥، ابن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ص ٣٣٧، وتذكر عفاف صبره : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص ٢٩٨ «إن مدينة دمشق كانت خالية من الجنود للدفاع عنها» وليس هذا دقيقاً، وإلا لما احتاج الخوارزمية ومن معهم إلى حصارها مدة تزيد على ثلاثة شهور.

(٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٨، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨، الذهبي : العبر جـ٥ ص١٧٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٥ ص٢١٦ .

ويعلق المؤرخ ابن واصل على ارتفاع سعر القمح بالذات فيقول: «وهذا سعر لم يسمع بنظيره في عصر من العصور في بلد من البلاد»(١).

وبلغ من عنف الضائقة الاقتصادية التي عاشتها دمشق آنذاك أن بيعت الأملاك والأمتعة بالشيء اليسير(٢) واضطر صاحب دار كانت تساوي عشرة آلاف درهم إلى بيعها بمبلغ الف وخمسمائة درهم اشترى بها غرارة واحدة من القمح، فقامت عليه هذه الغرارة بعشرة الاف درهم(٣).

واشتد الجوع بالأهالي مع قسوة الحصار فاضطروا إلى أكل القطط والكلاب والجيف والميتة(٤) حتى أن بعض السجناء لما مات زميل لهم لم يجدوا مناصاً من أكله(٥).

ويعرض أبو شامة حالة خاصة في أثناء الحصار فيقول: «وبقيت الصعاليك مرميين في الطرقات، كانوا يطلبون لقمة، ثم صاروا يطلبون فلساً يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كما تطعم الدجاج، شاهدتُ ذلك بعيني»(٦).

وكان طبيعياً أن يترتب على ذلك كله هلاك عدد من أهل دمشق بالجوع والوباء، حتى تكدست الموتى على الطرق، ونتنت الدنيا، فكان الإنسان إذا

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٣.

(٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٤.

(٣) المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٢، ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣٣٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٥.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٠، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٤.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٣، ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣٣٧

(٦) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص١٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٨.

مرَّ بالجبل، وشمَّ روائح الناس مرض ومات، وضجر الناس من التغسيل والتكفين، فكانوا يحفرون الآبار ويرمون الموتى بعضهم على بعض(١).

ونتيجة للتدهور الاقتصادي المروع تفسخت القيم الاجتماعية وظهر الفساد، يقول المؤرخ المعاصر أبو المظفر قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي: «وكانت الخمور دائرة، والفسق ظاهراً، والمكوس بحالها»(٢).

وبالطبع فإنه لاينبغي تحميل الخوارزميين وحدهم – وكانوا خارج أسوار دمشق – تبعة هذا التفسخ الاجتماعي الذي استشري داخلها، والذي لايكون ظهوره رد فعل مؤقت أو طارئ لمحنة عارضة إذ من المعروف أن الظواهر الاجتماعية لاتتكون إلا بصورة تدريجية ولا تتلاشى أيضاً إلا بنفس الطريقة.

سياسة نجم الدين أيوب :

استشعر السلطان الصالح نجم الدين أيوب مدى الخطر الذي يحيط بموقفه ويهدد سلطانه في مصر، فقد اشتد الحصار حول مدينة دمشق من قبل الخوارزميين وحلفائهم، وهرب نوابه من كافة المواضع التي استولوا عليها – بعد موقعة غزة الثانية – من الناصر داود، وهي نابلس والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار، ووقع مملوكه وقائد جنده على غزة الأمير ركن الدين بيبرس تحت تأثير الخوارزميين ومال إليهم وتزوج منهم كما سبق القول.

وجاء فصم عرى التحالف المعادي على رأس أولويات سياسة السلطان نجم الدين للتعامل مع هذا الموقف الخطير، فأرسل القاضي نجم الدين محمد

---

(١) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٠، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٢، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٤.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٣، وانظر أيضاً: النويري: نهاية الأرب جـ٢٤ ص٣١٤. الذهبي: العبر جـ٥ ص١٧٤، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣٠.

ابن سالم النابلسي المعروف بابن قاضي نابلس – وكان متقدماً عنده – إلى الأمير ركن الدين بيبرس بغزة – ولم يكن قد تحرك منها بعد للمشاركة في محاصرة دمشق – فما زال يخادعه ويمنيه حتى قدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، وكان آخر العهد به[١] واستعاد السلطان نجم الدين بذلك السيطرة على الجيش الذي كان تحت قيادته بغزة.

وفي خطوة تالية نجح السلطان نجم الدين في استقطاب الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، وفصله عن التحالف المحاصر لمدينة دمشق، فأجابه[٢] وشرع يعد جيشه للمواجهة المرتقبة وضمَّ إليه جموعاً من العرب (البدو) والتركمان[٣] ولعله وجدها فرصة كي ينفض عن نفسه وسمعته عار المشاركة المخزية مع الصليبيين ضد إخوانه المسلمين في موقعة غزة الثانية.

واستكمالاً لنفس السياسة أرسل السلطان نجم الدين إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب مساعدته في دفع الخوارزميين وحلفائهم عن دمشق، فأجابه مدفوعاً بالرغبة في التخلص من شرهم الذي لم تزل أثاره باقية في حلب وأعمالها منذ سنة ٦٣٨هـ، وسرعان ما خرجت العساكر الحلبية بقيادة الأمير شمس الدين لؤلؤ واجتمعت مع الملك المنصور عند حمص[٤] حيث وافت هناك نجدة من قبل مدينة حماة[٥].

---

(١) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص١٧٦، ابن الوردي: تتمة المختصر جـ٢ ص٢٥٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٢.

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٥٥، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٨، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣١.

(٣) الذهبي : العبر جـ٥ ص١٨١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩، المقريزي: السلوك جـق٢ ص٣٢٤.

(٤) النويري : نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢٠، ابن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ص٣٣٨، ابن سباط : صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٥.

(٥) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٨.

ومن مصر خرج جيش السلطان نجم الدين أيوب متوجهاً إلى دمشق المحاصرة لعله يجتمع حولها مع حلفائه في آن واحد، فيدهمون معاً المحاصرين لها، فيتم تخليص عاصمة الشام وأهلها من الحصار المقيت.

ولم يكن التحالف المضاد الذي يقوده الخوارزميون بغافل عما يدبر له، فقد اجتمعت معهم على مرج الصُّفَّر (القريب من دمشق) جموع عدة شملت جيوش الصالح إسماعيل، وعز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد، والناصر داود صاحب الكرك الذي بعث عساكره دون أن يشارك بنفسه في تلك المعمعة(١).

وفي المداولة التي جرت بين الخوارزميين وحلفائهم عند مرج الصفر تغلبت وجهة الخوارزميين في تحديد مكان المعركة، فقد قال مقدمهم الأمير بركة خان الخوارزمي مدفوعاً بكراهيته للملك المنصور إبراهيم صاحب حمص: «إن دمشق لاتفوتنا، والمصلحة قتاله عند بلده»(٢) فتمَّ الاتفاق على ذلك.

موقعة حمص ٦٤٤هـ:

بني الخوارزميون وحلفاؤهم خطتهم على الإفلات من مصيدة البقاء حول أسوار مدينة دمشق، ومن ثمة شرعوا في الاتجاه شمالاً صوب حلب فترتب على ذلك نتائج مهمة منها:

أ – رفع الحصار عن مدينة دمشق بعد استمرار دام ثلاثة شهور(٣).

---

(١) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٨، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨١ – ١٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢٠.

(٣) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٤، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٢، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٧.

ب- وصول المؤن إلى الأهالي فيها وانخفاض الأسعار[١] وعودة الحياة الطبيعية إلى ما كانت عليه قبل الحصار.

جـ- خروج عسكر دمشق الذي كان موجوداً داخلها في أثناء الحصار، وتوجهه إلى مدينة حمص منحازاً إلى التحالف الذي يقوده صاحبها الملك المنصور إبراهيم[٢].

وفي نهاية المطاف التقى الفريقان على نهر القصب بظاهر مدينة حمص - وهي منزلة قبلي حمص على مرحلة منها - في أول المحرم سنة ٦٤٤هـ فأسفر اللقاء عن هزيمة الحلف الذي يتزعمه الخوارزميون[٣] وترتب على ذلك نتائج مهمة منها:

أ - انكسار الخوارزميين وتفرق شملهم ووقوع نسائهم سبايا وأموالهم غنائم في أيدى أعدائهم[٤] وتعرض جماعة كبيرة منهم للأسر حُمِلوا إلى حلب[٥] ومصرع زعيمهم الأمير حسام الدين بركة خان[٦] فجرى الطواف

---

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص ١٧٨، ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٣.

(٢) الذهبي: العبر جـ٥ ص ١٨١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩.

(٣) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٤، أبو شامة: الذيل على الروضتين ص ١٧٨، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٤، ويخالف المؤرخ ابن خلدون في كتابه العبر جـ٥ ص٣٥٨، إجماع المؤرخين في تحديد مكان المعركة فيجعله في دمشق، وليس هذا صحيحاً.

(٤) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص١٧٨، الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣١، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٨.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٤، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٤.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٥، ويذكر سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٤، وينقل عنه الصفدي: الوافي بالوفيات جـ١٠ ص٦٢١ «أن بركة خان كان أحد خانات الخوارزمية الأربعة، وكان أصلحهم في الميل إلى الخير والرفق بالناس»..!!

برأسه منصوباً على رمح في موكب حافل في شوارع حلب(١) ثم رفع فنصب بباب قلعتها(٢).

ب- فقد الصالح إسماعيل ممتلكاته وعلى رأسها مدينة بعلبك، فإنه بعد الهزيمة - لم يمكنه الدخول إليها خوفاً من أن يحاصر داخلها، ويؤخذ باليد أخذاً فيقتله ابن أخيه السلطان نجم الدين أيوب لما فعله بابنه المغيث(٣)

جـ- فرار الأمير عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد ومن سلم معه من العسكر - بعد أن راحت أثقالهم ونهبت أموالهم، وعودتهم إلى حوران عرايا جياعاً(٤) ومن حوران سارع الأمير عز الدين أيبك إلى العودة إلى قلعته صرخد فاعتصم بها(٥) مترقباً ما سوف تسفر عنه الأحداث.

وفي الطرف المقابل الذي يضم تحالف السلطان الصالح نجم الدين أيوب والملك المنصور صاحب حمص والملك الناصر صاحب حلب أخذت نتائج المعركة شكلاً مغايراً اتضح في:

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٨.

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦١، وانظر أيضاً ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٨ فهو يذكر العبارة التالية: وتحتم على الصالح إسماعيل أن يعود مرة أخرى إلى إقطاعه في بعلبك، وليس هذا القول صحيحاً فلم يكن بمقدوره فعل ذلك بعد الهزيمة التي أصابته عند مدينة حمص.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢٠، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨٢، ويذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات جـ٩ ص٤٨٠ أن الأمير عز الدين صاحب صرخد هو مملوك الملك المعظم عيسى شقيق الملك الكامل اشتراه سنة ٦٠٧هـ، وترقى عنده حتى جعله أستاذ داره وكان يؤثره على أولاده حتى أنه أقطعه صرخد وقلعتها، وقد حصل له وحشة من الملك الصالح أيوب، فكان مع الخوارزمية لما كسروا عند حمص سنة ٦٤٤هـ.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦١، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٤.

١- عودة الثقة بالملك المنصور صاحب حمص الذي نجح في إدارة المعركة ضد الخوارزميين وحلفائهم ولم يتوقف عند تحقيق النصر، وإنما سار ومعه عساكر حلب إلى بعلبك، فانضم إلى عساكر السلطان نجم الدين الذي كان نازلاً عليها، وحاصروها جميعاً(١) واستولى المنصور على ربض المدينة وسلمه إلى اثنين من كبار قواد عسكر مصر هما الأميران ناصر الدين القيمري، وجمال الدين هارون، وعاد إلى حمص حيث ودع هناك عسكر حلب(٢) العائد إليها بعد نجاح مهمته.

ب- بروز المكانة السياسية للملك الناصر صاحب حلب الذي أصبح فيما بعد بضعة سنوات تالية - عقب وفاة السلطان نجم الدين أيوب في منتصف شعبان سنة ٦٤٧هـ - سلطان الشام دون منازع، فبالإضافة إلى المشاركة العملية المؤثرة لجيش حلب وإسهامه في تحقيق النصر على الخوارزميين وحلفائهم، فإنه استقبل بحلب في ربيع الآخر سنة ٦٤٤هـ خال أبيه الملك الصالح إسماعيل الذي كان قد فقد - بعد بعلبك - مدينة بصرى(٣) وهام على وجهه دون مأوى مع جماعة من الخوارزميين يتزعمهم الأمير الخوارزمي كشلوخان، فأكرم الملك الصالح وأجاره وأنزله في دار جمال الدولة الخادم، وقبض على كشلوخان والخوارزميين الذين كانوا معه وملأ بهم الحبوس(٤).

---

(١) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص٣٤، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨٢.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الارب جـ٢٩ ص٣٢٠، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٨.

(٣) الصفدي: تحفة ذوي الألباب جـ٢ ص١٣١، أبو شامة: الذيل على الروضتين ص ١٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٢، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢٢، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٦٠.

جـ- تمكن مُلْك السلطان الصالح نجم الدين أيوب لدمشق، واعتراف الأيوبيين في شمال الشام له بالسيادة وبالتالي توجه اهتمامه تجاه الفرنج(١) وكان الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص قد جاء إلى دمشق في خدمة السلطان نجم الدين فأنزل مكرماً في بستان أسامة وقام على خدمته الأمير حسام الدين بن أبي على نائب السلطان نجم الدين بدمشق(٢) كذلك تمكن قواد جيش السلطان نجم الدين من احتواء ممتلكات عمه الصالح إسماعيل في بعلبك وبصرى، حتى إنهم ساقوا أولاده تحت الحوطة إلى القاهرة(٣) لينظر السلطان في أمرهم .

وعلى هذا فقد حقَّ لنجم الدين أيوب أن يحتفل بذلك كله وأن تزدان القاهرة له أياماً عديدة وبخاصة القلعتان الجبل والروضة(٤) .

نهاية الخوارزميين :

أسفرت معركة نهر القصب عند حمص في المحرم سنة ٦٤٤هـ عن هزيمة الخوارزميين ومقتل عدد كبير منهم على رأسهم مقدمهم الأمير بركة خان،

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٨، ويظهر أن هذه السيادة كانت أسمية فالملك الناصر صاحب حلب قد رفض طلب السلطان نجم الدين بأن يرسل إليه عمه الصالح إسماعيل، ورد رسوله قائلاً: «كيف يحسن بي أن يلتجئ إليّ خال أبي، وهو كبير البيت، وأسيره إلى من يقتله، فلما علم السلطان نجم الدين بذلك تألم وسكت عن طلبه، وكان في غاية الحنق عليه لما فعله بابنه الملك المغيث .. انظر ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦٠، أبو الفدا: المختصر جـ٣ ص١٧٥ .

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢٠، ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦٩ .

(٣) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ٣٤، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨٢ .

(٤) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص١٧٥، ابن الوردي: تتمة المختصر جـ٢ ص٢٥٣، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٦ .

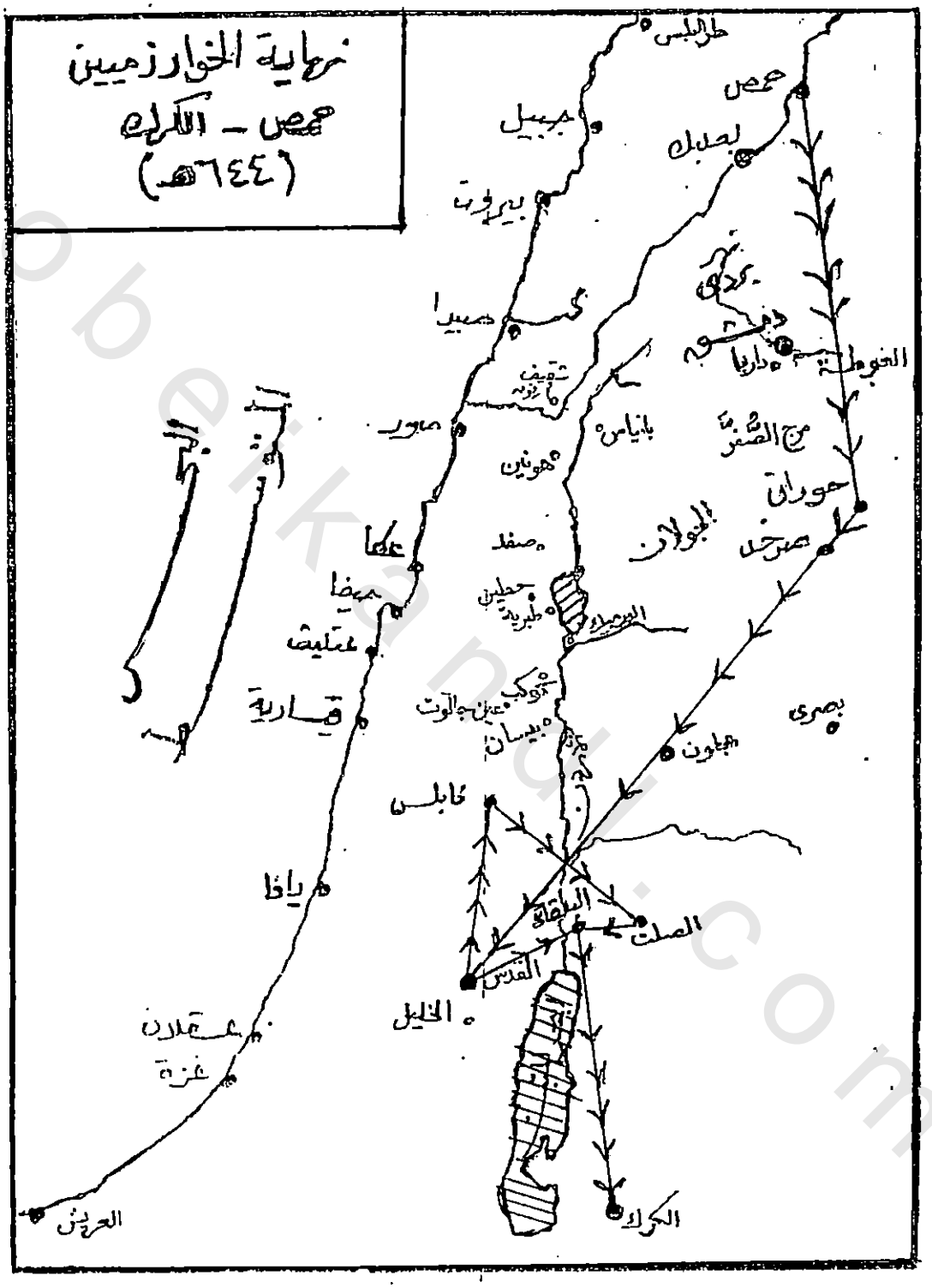
رواية الخوارزميين
حمص - الكرك
(٦٤٤هـ)
طرابلس
حمص
جبيل
بعلبك
بيروت
صيدا
دمشق
بانياس
مرج الصفر
حوران
الجولان
صرخد
صفد
عكا
حطين
طبرية
البحيرة
شوكب
عين جالوت
بيسان
بصرى
جباتون
نابلس
يافا
الساقاة
الصلت
القدس
الخليل
عسقلان
غزة
العريش
الكرك

obeikandl.com

ووقوع جماعة كبيرة منهم ومن نسائهم في الأسر حيث جرى إرسالهم إلى مدينة حلب عند الملك الناصر صاحبها، ثم انضم إلى هؤلاء الأسرى في ربيع الآخر من نفس السنة جماعة أخرى من الخوارزميين على رأسهم الأمير كشلوخان كما سبق القول.

ويبدو أن الملك الناصر صاحب حلب قد ضاق بهؤلاء الخوارزميين المأسورين في حبوسه لما يتطلبه الاستمرار في حبسهم من مؤنة اقتصادية هو في غنى عنها، ولكراهية الأهالي لهم في مدينة حلب خاصة، ولصعوبة الاستفادة بهم لديه في أعمال مستقبلية، ولما كان عازفاً عن قتلهم، فقد اطلقهم فتوجهوا من حلب إلى الشرق حيث نزلوا مدينة حرّان(١) إقطاعهم القديم في بلاد الجزيرة.

ولم يكن وجودهم في حرّان أمراً مرغوباً فيه لكراهية الأهالي هناك لهم، وللضعف الذي أصابهم، فقرروا الرحيل عن حرّان، فاجتازوا نهر الفرات، وتوجهوا شمالاً إلى معسكرات المغول، فعملوا في خدمتهم(٢).

وبالطبع لم يجد المغول غضاضة في الاستعانة بهؤلاء الخوارزميين، فهم أي المغول كانوا قد نجحوا تحت قيادة بايجونوين في إخضاع بلاد سلاجقة الروم لهم بعد معركة (كوسة داغ) أي الجبل الأقرع في المحرم سنة ٦٤١هـ(٣)، وفرضوا عليها الضرائب الثقيلة، وكانوا يدركون مدى العداء الذي يكنه

---

(١) المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٤، ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية جـ٣ ص٣٩٨، عفاف صبره: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ص٣٠٠.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٩، ابن خلدون: العبر جـ٥ ص٣٥٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٥.

(٣) ابن البيبي: أخبار سلاجقة الروم ص ٢٨٧، أبو الفدا: المختصر جـ٣ ص١٧٢، العريني: المغول ص ١٨٣.

الخوارزميون لسلاجقة الروم منذ أن اضطروهم قسراً إلى الفرار من الأناضول سنة ٦٣٤هـ.

أما الخوارزميون الذين فروا عقب الهزيمة في حمص إلى حوران مع الأمير عز الدين أيبك المعظمي، فإنهم تجمعوا – بعد أن انضم إليهم شتاتهم من هنا وهناك، ثم ساروا إلى بلاد القدس الشريف والساحل وعاثوا فيها فساداً وأخربوها(١).

ومضت جماعة من هؤلاء الخوارزميين إلى البلقاء، وأعلنوا ولاءهم للملك الناصر داود الذي كان قابعاً في الكرك يترقب ما سوف تسفر عنه الأحداث، فتوجه إليهم، وانعم عليهم وتزوج منهم واستخدمهم وأسكن عائلاتهم الصلت(٢).

واحتذى بالناصر داود في موقفه من الخوارزميين الأمير عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد(٣) ومن ثمة فقد سار الخوارزميون إلى نابلس فاستولوا عليها(٤) وزاد ذلك من شعور الناصر داود بقوة شوكته فاطمعته نفسه في الاستيلاء على البلاد المجاورة من أيدي نواب الصالح نجم الدين أيوب(٥).

---

(١) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٥، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١.

(٢) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٩، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨٢والبلقاء كورة في شرقي الأردن وقاعدتها حُسْبَان، انظر أبا الفداء: تقويم البلدان ص ٢٢٧ والقلقشندي: صبح الأعشى جـ٤ ص١٠٦.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠ – ص٧٦١، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩، المقريزي: السلوك جـ١ ق١ ص٣٢٤، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٩.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص٣٥.

وأمام هذا التحدى الخطير اضطر السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى إخراج عسكر مصر إلى الشام وجعل قيادته للأمير فخر الدين ابن الشيخ(١) فلما وصل هذا العسكر إلى غزة عاد من كان بنابلس من الخوارزميين إلى الصلت(٢).

وفي خطوة تالية تحرك ابن الشيخ بعسكره من غزة إلى نابلس متوجهاً صوب الخوارزميين في الصلت، فتصدى له عسكر التحالف المشترك بين الملك الناصر داود، والأمير عز الدين أيبك المعظمي والخوارزميين، والتقى الطرفان عند مدينة حُسبان بالبلقاء في السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٤٤هـ، فانهزم جيش التحالف وتبدد شمله(٣) وترتب على ذلك نتائج مهمة منها:

أ ـ فرار الناصر داوود وعودته جنوباً مع أعيان الخوارزميين إلى حصن الكرك واعتصامه به(٤).

ب ـ فرار الأمير عز الدين المعظمي وعودته شمالاً إلى قلعته صرخد واحتمائه بها(٥).

جـ ـ تعرض الخوارزميين لنكبة مريرة، فقد قام الأمير ابن الشيخ ومعه عسكر مصر بإحراق مدينة الصلت التي كانت مستقراً لعائلاتهم، ورفض الناصر داود ـ بعد الهزيمة ـ استيعاب غالبيتهم في حصن الكرك أو الربض المتصل به(٦) فأصبحوا بذلك تحت رحمة عسكر مصر.

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦٣ ـ ٣٦٤، الذهبي: العبر جـ٥ ص١٨٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٦.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١.

(٣) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٩، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص ٣٢٥.

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص٣٥.

(٥) النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص ٣٢١، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٧ ص٣٥٩.

(٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٠، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١.

ء – استكمال بسط نفوذ السلطان الصالح نجم الدين أيوب على جنوبي الشام كله وتعيين نواب له فيه، وشمل ذلك ما كان بيد الملك الناصر داود من ممتلكات وهي القدس ونابلس وبيت جبريل والصلت والبلقاء(١) .

وأخيراً رأى الأمير ابن الشيخ إنهاء مهمته في القضاء على الخوارزميين، فمضى إلى حصن الكرك وخرب ما حوله واشتد في حصاره، فبعث إليه الملك الناصر داوود يستعطفه(٢) فوقع الاتفاق على أن يسلم إليه من عنده من أعيان الخوارزميين، فتسلمهم منه ورحل عنه وهم في خدمته(٣) .

ويبدو أن الأمير ابن الشيخ – بعد أن تيقن من عجز الخوارزميين تماماً – قد رق قلبه لمن تبقى منهم فأحسن إليهم وخلع عليهم وطيّب قلوبهم، واستصحبهم معه(٤) .

وهكذا انتهى الأمر عملياً بالنسبة للخوارزميين كقوة عسكرية ذات تأثير سياسي في الشرق الأدنى الإسلامي، فقد انقطعت منهم جماعة(٥) وتفرقت جماعة أخرى في الشام وخدموا به(٦) ودخلت جماعة منهم إلى مصر وخدموا بها(٧) .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٦٤، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢٥ .

(٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص١٧٩ .

(٣) النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٣٢١ .

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين ص ٣٥، النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٣٢١ .

(٥) أبو الفدا: المختصر جـ٣ ص١٧٥، ابن الوردي: تتمة المختصر جـ٢ ص٢٥٩، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٦ .

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٥، ابن سباط: صدق الأخبار جـ١ ص٣٣٦، أما ابن خلدون في العبر جـ٥ ص٣٥٨ فيقول: وذهب أثرهم عن الشام .

(٧) ابن واصل: مفرج الكروب جـ٥ ص٣٥٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٢٦، نافع العبود: الدولة الخوارزمية ص١٨٩ .

الخاتمة

جاء انحدار الخوارزميين إلى الشرق الأدنى الإسلامي عقب مصرع سلطانهم الأخير جلال الدين منكبرتي في جبال الأكراد في منتصف شهر شوال سنة ٦٢٨هـ ناتجاً عن الضغط المغولي المتواصل من غربي إيران وبالتحديد من إقليم «موقان».

وفي الحقيقة لم يكن الخوارزميون الذين تحركوا نحو بلاد الأناضول أو الجزيرة أو الشام يملكون جيشاً نظامياً كبير العدد أو العتاد، غير أن حالة التمزق السياسي التي أسهمت فيه كل القوى السياسية المعاصرة لهم في الشرق الأدنى الإسلامي وعلى رأسها سلاجقة الروم والأيوبيون والأراتقة والمواصلة بل والخلافة العباسية نفسها قد جعلت من هؤلاء الخوارزميين قوة عسكرية استراتيجية ذات ثقل سياسي مؤثر، ومن ثمة تسابقت كل هذه القوى على اجتذابهم إليها ليكونوا سنداً لها في مواجهة القوى الأخرى.

وقد أفاد المغول كثيراً من حالة التمزق تلك حتى إنهم نجحوا في النهاية في إخضاع بلاد سلاجقة الروم لسلطانهم سنة ٦٤١هـ، وفي تهديد بلاد الجزيرة وشمالي الشام وممتلكات الخلافة العباسية في أربل وشهرزور وبغداد نفسها تهديداً مباشراً.

أما الصليبيون في الشام – وكانوا بدورهم ممزقين سياسياً بأثر الخلافات الداخلية فيما بينهم – فكانوا يعتقدون أنه لاأحد من القوى السياسية المجاورة لهم بوسعه تهديد كيانهم الراسخ، وكيف يكون ذلك وقد تسابق حكام مصر والشام على خطب ودهم والتحالف معهم، ومن ثم كانت مهاجمة الخوارزميين لبيت المقدس واستيلاؤهم عليه أمراً مفاجئاً أذهلهم وأرغمهم على إعادة النظر في اعتقادهم السابق، فسارعوا بتوجيه الدعوة إلى البابا وملوك غربي أوربا، أملاً في استعادة بيت المقدس من المسلمين.

أيا كان الأمر، فقد أكد الخوارزميون رغم سقوطهم المروع سنة ٦٤٤هـ على حقيقة التمزق الإسلامي في تلك الفترة الدقيقة من تاريخ المسلمين في الشرق الأدنى. كما نبهوا القوى السياسية في مصر وا لشام آنذاك إلى أهمية التحالف الفعلي فيما بينها دون الاعتماد على غيرها من القوى الخارجية.

وقد استفادت مصر على وجه الخصوص من تلك التجربة القاسية وكان آية ذلك نجاحها في دحر الحملة الصليبية السابعة بقيادة القديس لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٧هـ.

بقى أن نذكر أن هؤلاء الخوارزميين كأشخاص لم يندثروا تماماً فقد كان منهم من صنعوا – فيما بعد – تاريخ الشرق الإسلامي كله أو أثروا فيه بشكل كبير، ويأتي على رأس هؤلاء السلطان المظفر قطز(١) قاهر المغول في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، والأميرة إلتطمش بنت مقدم الخوارزمية بركة خان(٢) وكان الأمير بيبرس البندقداري – قبل أن يصبح سلطاناً على مصر – قد تزوجها في أثناء وجوده بالشام بعد فراره من مصر عقب اغتيال أستاذه فارس الدين أقطاى في قلعة الجبل في شعبان سنة ٦٥٢هـ، فانجبت له أكبر أبنائه السعيد بركة خان في صفر سنة ٦٥٨هـ بشبين القناطر بقليوب في مصر(٣) وقد أصبح هذا سلطاناً عقب وفاة أبيه في المحرم سنة ٦٧٦هـ، ومنهم أيضاً الأمير بدر الدين بن بركة خان خال الملك السعيد بركة خان وناصحه ومرشده في أثناء حكمه وبخاصة في فترة صراعه مع كبار أمراء أبيه السلطان الظاهر بيبرس(٤).

---

(١) النويري: نهاية الأرب جـ٢٩ ص٤٧٩ – ٤٨٠، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٨ ص٣٩–٤٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٧ ص٨٥.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٩ ص٣٥٣.

(٣) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر جـ٨ ص٢١٩، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٦٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٦١.

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٧ ص٩٦، المقريزي: السلوك جـ١ ق٢ ص٦٤٥ – ٦٤٦، العيني: عقد الجمان جـ٢ ص١٨٦.

وهكذا نرى أن أعمال الخوارزميين لم تكن كلها سيئة فظة، فقد كان في بعضها لمحات إيجابية، ومن ثمة ينبغي أن نحكم عليهم بمقياس عصرهم، وفي ظل ظروف حياتهم التي قذفت بهم خارج موطنهم الأصلي فاضطرتهم الحاجة وضنك العيش إلى ارتكاب كثير من الجرائم التي لايمكن اغتفارها أو نسيانها، وبخاصة في حق إخوانهم المسلمين في بلاد الجزيرة والشام.

* * *

obeikandl.com

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

* **ابن الأثير** : عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم **(ت / ٦٣٠هـ)**

١- الكامل في التاريخ ، الطبعة الثانية دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبو المحاسن يوسف **(ت / ٨٧٤هـ)**

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

* **ابن الجوزي** : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي **(ت / ٦٥٤هـ)**

٣- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد الدكن سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

* **الحسيني** : صدر الدين على بن ناصر **(ت / ٦٢٢هـ)**

٤- أخبار الأمراء والملوك السلجوقية المعروف بزبدة التواريخ، الطبعة الثانية، نشر دار اقرأ، بيروت سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

* **الحموي** : أبو الفضائل محمد بن على بن نظيف.

٥- التاريخ المنصوري، الطبعة الأولى، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٩٠م.

* **الحنبلي** : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد **(ت / ١٠٨٩هـ)**

٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الأولى منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت (بدون تاريخ).

* **الحنبلي**: أحمد بن إبراهيم **(ت / ٨٧٦هـ)**

٧- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ١٤١٥هـ/ سنة ١٩٩٦م.

* **ابن خلدون** : ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت / ٨٠٨هـ)

٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الطبعة الأولى ، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

* **الدواداري** : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت / ٧٣٦هـ)

٩- كنز الدرر وجامع الغرر، الطبعة الأولى، نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني لآثار القاهرة سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

* **الذهبي**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت / ٧٤٨هـ)

١٠- العبر في خبر من غبر، الطبعة الأولى، مطبعة حكومة الكويت سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

* **ابن سباط** : حمزة بن أحمد بن عمر (ت / ٩٢٦هـ)

١١- صدق الأخبار ، تاريخ ابن سباط، طرابلس لبنان سنة ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

* **أبو شامة** : شهاب الدين أبو أحمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت / ٦٦٥هـ)

١٢- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف «بالذيل على الروضتين» الطبعة الأولى نشر مكتبة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

* **الصفدي** : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت / ٧٦٤هـ)

١٣- الوافي بالوفيات ، الطبعة الأولى، دار نشر فرانز شتانير، بفيسبادن، ألمانيا سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٤- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا دمشق سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

obeikandl.com

* **ابن العبري** : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (ت/ ٦٨٥هـ)

١٥- تاريخ الزمان ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الشرق، بيروت سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٦- تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

* **ابن العديم** : كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت/ ٦٦٦هـ)

١٧- زبدة الحلب في تاريخ حلب، نشر وتحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق سنة ١٩٦٨م.

* **ابن العميد** : المكين جرجس

١٨- أخبار الأيوبيين، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (بدون تاريخ).

* **أبو الفدا** : عماد الدين إسماعيل بن نور الدين أبي الحسن (ت/ ٧٣٢هـ)

١٩- تقويم البلدان ، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت (بدون تاريخ).

٢٠- المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسنية المصرية بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

* **ابن الفوطي**: كمال الدين أبو الفضل عبد الزراق بن تاج الدين أحمد (ت/ ٧٢٣هـ)

٢١- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، الطبعة الأولى: مطبعة الفرات، بغداد سنة ١٣١٥هـ/١٩٣٢م.

* **ابن كثير** : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت/ ٧٧٤هـ)

٢٢- البداية والنهاية في التاريخ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

* **المقريزي**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن على (ت/ ٨٤٥هـ)

٢٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٣٥٣هـ /١٩٣٢م.

obeikandl.com

* **النسوي** : نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشئ **(ت / ٦٤٢هـ)**

٢٤- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

* **ابن واصل** : جمال الدين محمد بن سالم **(ت / ٦٩٧هـ)**

٢٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

* **ابن الوردي** : زين الدين عمر **(ت / ٧٤٩هـ)**

٢٦- تتمة المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، مطبعة الوهابية القاهرة سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.

ثانياً : المصادر الجغرافية

* **الحميري** : محمد بن عبد المنعم

٢٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، الطبعة الثانية، دار السراج بيروت سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

* **الإدريسي** : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحموي الحسني.

٢٨- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (بدون تاريخ).

* **ابن شداد** : عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم **(ت / ٦٨٤هـ)**

٢٩- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، سوريا سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

* **القزويني** : زكريا بن محمد بن محمود.

٣٠- آثار البلاد وأخبار العباد، الطبعة الأولى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* **ياقوت الحموي**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله **(ت / ٦٢٦هـ)**

٣١- معجم البلدان ، الطبعة الأولى، نشر دار صادر بيروت (بدون تاريخ).

ثالثًا : المراجع :

حسنين : عبد النعيم محمد (دكتور)

٣٢- سلاچقة إيران والعراق، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٠م.

حسين : حسن عبد الوهاب (دكتور)

٣٣- تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة من ٥٨٦ : ٦٩٠هـ/ ١١٩٠ : ١٢٩١م، الإسكندرية، نشر دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠م.

حلمى : أحمد كمال الدين (دكتور)

٣٤- السلاچقة فى التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

حمدى : حافظ أحمد

٣٥- الدولة الخوارزمية والمغول، الطبعة الأولى- دار الفكر العربى، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

خليل : عماد الدين (دكتور)

٣٦- الإمارات الأرتقية فى الجزيرة والشام (٤٦٥- ٨١٢) هـ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

شلبى : أحمد جاب الله (دكتور)

٣٧- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

صبرة : عفاف سيد (دكتورة)

٣٨- التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية، الطبعة الأولى، نشر دار الكتاب الجامعى، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الصياد : فؤاد عبد المعطى (دكتور)

٣٩- المغول فى التاريخ، الطبعة الأولى، مكتبة الشريف والسعيد ، مت للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

عاشور : سعيد عبد الفتاح (دكتور)

٤٠- الحركة الصليبية فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

العبود : نافع توفيق (دكتور)

٤١- الدولة الخوارزمية، نشأتها وعلاقتها مع الدول الإسلامية، مطبعة الجامعة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

العرينى : السيد الباز (دكتور)

٤٢- المغول، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

فهمى : عبد السلام عبد العزيز (دكتور)

٤٣- تاريخ الدولة المغولية فى إيران، الطبعة الأولى، دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

القزاز : محمد صالح داود (دكتور)

٤٤- الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية، الطبعة الأولى، مطبعة القضاء فى النجف الأشرف، العراق ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

يوسف : جوزيف نسيم (دكتور)

٤٥- العدوان الصليبى على مصر، مطابع رويال: الإسكندرية ١٩٦٩م، الطبعة الأولى.

رابعًا : المصادر الفارسية :

ابن البيبى : ناصر الدين يحيى بن محمد بن على **(ت/ ٦٨٤هـ)**

٤٦- أخبار سلاجقة الروم « مختصر سلجوقنامة » نقله إلى العربية ، كتور

محمد السعيد جمال الدين، جامعة قطر١٤١٥هـ، الدوحة ١٩٩٤م.

الجوينى : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد **(ت/ ٦٨١هـ)**

٤٧- تاريخ مهانكشاى، نقله إلى العربية الدكتور محمد التونجى، نشر دار الملاح للطباعة والنشر، حلب ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

خواندمير : غياث الدين محمد بن همام **(ت/ ٩٤٢هـ)**

٤٨- دستور الوزراء، نقله إلى العربية الدكتور حربى أمين سليمان، نشر الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

الراوندى : محمد بن على بن سليمان بن محمد

٤٩- راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، الدكتورفؤاد عبد المعطى الصياد، نشر دار القلم بالتوفيقية، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

الهمذانى : رشيد الدين فضل الله بن عماد الله بن موفق الدولة **(ت٧١٨/هـ)**

٥٠- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء چنكيزخان من أوكتاى قاآن إلى تيمورقاآن) نقله إلى العربية الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد، نشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

عباس إقبال :

٥١- تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله إلى العربية الدكتور محمد علاء منصور، نشر دار الثقافة العربية، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

خامسًا : المراجع الأوربية :

انتونى : بردج

٥٢- تاريخ الحروب الصليبية. نقله عن الإنجليزية إلى العربية الأستاذان أحمد غسان سبانو، ونبيل الجيزاوى، نشر دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

بارتولد : فاسيلى فلاديمير (دكتور)

٥٣- تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية إلى العربية الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم، نشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الطبعة الأولى.

باركر : أرنست

٥٤- تاريخ الحروب الصليبية، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الدكتور السيد الباز العرينى، الطبعة الرابعة، نشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (بدون تاريخ).

براون : إدوارد جرانفيل (دكتور)

٥٥- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، نشر مطبعة دار السعادة، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، الطبعة الأولى.

بروى : إدارد (دكتور)

٥٦- تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، الجزء الثالث، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الأستاذ يوسف أسعد، نشر مطبعة منشورات عويدان، لبنان ١٣٠٤هـ/ ١٩٦٥م، الطبعة الأولى.

بيشوف : تيودور

٥٧- تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشباء، ترجمة وتحقيق الدكتور شوقى شعث والأستاذ فالح بكور، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٩٢م (بدون تحديد لدار النشر)

جروسيه رينيه

٥٨- جنكيزخان قاهر العالم، نقلة عن الفرنسية إلى العربية الأستاذ / خالد أسعد عيسى، راجعه وقدم له د/ سهيل ذكار، نشر دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٢ - ١٤٠٣هـ.

رنسيمان : ستيفن

٥٩- تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الدكتور السيد الباز العرينى، نشر دارالثقافة، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ستوف : فلاديمير

٦٠- حياة چنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية نقلة من الروسية إلى الإنجليزية الأمير د. س. ميزسكي، وترجمة عن الإنجليزية إلى العربية الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدى، نشر مؤسسة الرسالة شعبان سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

ف. يان. الصينى

٦١- چنكيزخان سفاح الشعوب، نقله عن الصينية إلى العربية الأستاذه صوفى عبد الله، نشر دار الهلال، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، الطبعة الأولى.

فاميرى : أرمنيوس

٦٢- تاريخ بخارى، نقله إلى العربية الدكتور أحمد محمود الساداتى، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

لامب : هارولد

٦٣- چنكيزخان امبراطور الناس كلهم، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الأستاذ بهاء الدين نورى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، الطبعة الأولى.

لسترنج : كى

٦٤- بلدان الخلافة الشرقية، نقله عن الإنجليزية إلى العربية الأستاذان

كوركيس عواد، بشير يوسف فرنسيس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الطبعة الثانية.

ماير : هانس إبرهارد

٦٥- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. عماد الدين غانم، الطبعة الأولى، ليبيا، منشورات مجمع القاع للجامعات ١٩٩٠م.

Doshsson: m. le Baron

66- Histoire des mongols depuis tchingiwz khan jusqu a timour beyou temerian. Paris. 1824.

Howorth: Sir Henry.

67- History of the mongols. London 1876.

Schneider: Bret, E.

68- Mediaeval researches from Easten. Asiatic Sources. Lodon 1887.

Skrine: Francis henry and Ross: Edward

69- The Heart of Asia, London, 1899.

obeikandl.com